جامع النافع

سلسلة إصدارات جامع النافع (4)

القواعد الحسان

المتعلقة بتفسير القرآن

تأليف الشيخ / عبدالرحمن بن ناصر السعدي

طبع هذا الكتاب على نفقة الشيخ
عبد العزيز بن عبدالله المميذر
رحمه الله، ووالديه وإخوانه وأخواته وجميع المسلمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعدُ:

فنحمد الله -عز وجل- ونشكره ونُثني عليه، ونسأله -سبحانه وتعالى- بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أن يرزقنا وإياكم العِلم النافع، والعمل الصالح، والدعوة إليه، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما عَلَّمْتَنا، وزدنا علمًا يَنفعنا.

هؤلاء الذين يقومون على هذه الدورات جزاهم الله خيرًا وبارك في أعمالهم وفي جهودهم، وكل من ساهم فيها، وجزى اللهُ خيرًا إخوتنا الحضور، الذين تَجَشَّمُوا عناء الطريق، وتَخَلَّصوا من كل المشاغل؛ رغبةً في العلم وفي تحصيله، وأُبشِّرهم أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا؛ سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ».

وهذه الدورات المباركة هي مفاتيح للعلم يا إخوان، وليست المصدر للعلم وحدها؛ فإن طالب العلم يطلب العلم في مَظَانِّه، وأبواب العلم اليوم مُشْرَعَة، وطُرُقه متاحة لكل أحد، ليلًا ونهارًا، في بيته، وفي سيارته، وفي كل مكان، فالحُجَّة قائمة يا إخوان، لكن نسأل الله الإعانة والتوفيق، والهداية والتسديد.

وما أريده من الإخوان ألا يظنوا أن العلم يؤخذ في دورة أو حتى في درس، وإنما يُؤخَذُ في الدروس وفي الدورات أصولُ العِلم ومفاتيحُه، ويحرص الإنسان منها على أن يؤسس حصيلة علمية يبني عليها فيما يقرأه وفيما يَطَّلِعُ عليه، وإلا يا إخواني فالعلم في بطون الكتب، لكن الإنسان لا يأتي الكتبَ هكذا مباشرةً، لكن إذا كانت معه حصيلةٌ يستطيع من خلالها أن يقرأ في الكتب بفهم، فحينها يا إخواني يبدأ في القراءة وفي النظر وفي البحث وفي التوسع، ولا بأس أن يحضر الدورات، ويحرص على حضور الدروس، لكن لا يقتصر عليها، فالعلم يا إخوان يأتي مع الليالي والأيام.

وفي وصية للإمام الزهري لأحد تلاميذه وهو يونس بن يزيد -رحمهم الله تعالى أجمعين-، قال له: (يا يونس! لا تُكاثِرِ العِلْمَ؛ فإنَّ العِلمَ أوديةٌ، فأيُّها

دَخَلْتَ فيه قُطع عليك قبل أن تبلغه، ولا تَرُمْه جُملةً، فإن من رامه جُملةً تركه جُملةً، ولكن مع الليالي والأيام).

ولو أنفق الإنسان جواهر عمره في طلب العلم فإنه لن يبلغ فيه غايته القصوى أبدا، ولكن يستثمر أوقاتَه، ويجاهد نفسه، في تحصيل العلم، باذلا ما استطاع من الأسباب، مستعينًا بالله -عز وجل- أولًا وقبل كل شيء.

فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]، الحمد لله القرآن مُيَسَّرٌ يا إخوان، وهو أصلُ العلم ومصدرُه الأوَّلُ، لكن هل يَكفي أن نَعلَمَ أنَّ القرآن قد يُسِّرَ؟ كلا، ولهذا قال: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، يعني هل من طالب عِلمٍ، فيُعان عليه.

وأعظم العلوم وأهمها ومصدرها: العلم بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وقراءة القرآن والنَّظر فيه وتدبُّره هو المعين الذي لا يَنْضُبُ، والمصدر الذي لا ينقضي ولا تنتهي عجائبه وفوائده، إذا ما سرنا فيه على نهج السلف -رحمهم الله تعالى.

ولأن العلوم يا إخواني كثيرة وأودية، كما قال الزهري -رحمه الله تعالى-، عَمَدَ العلماء إلى جمعها في أصولٍ جوامعَ، تُرَدُّ إليها فروعها وجزئياتها،

وهي ما تُسمى بالقواعد، فإن القواعدَ أحكامٌ كليةٌ، تُرَدُّ إليها الفروع الجزئية، سواء كانت قواعدَ في اللغة، قواعد في الأصول، قواعد في الفقه، أو قواعد في التفسير، وقواعد التفسير يا إخوان علم جليل القدر، عظيم الفائدة، وهو نوع من أنواع علوم القرآن، ولهذا لم يؤلف العلماء المتقدمون كتبًا مستقلة، بحكم أنه مبثوث في كتب علوم القرآن، وكتب التفسير، إلا أن العلماء رأوا المصلحة في تأليف كتب خاصة مستقلة به، حتى يكون أيسر في التناول، وأسهل في البحث والنظر، فأُلِّفَتْ فيه كُتبٌ.

وكان ممن ألف فيه، ولعله من أوائل من أفرد فيه العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالى-، حيث ألف هذا الكتاب، والذي نحن بصدد أخذ بعض الفوائد منه، وإلا فلن نستطيع -في دورة أو دورتين أو حتى أكثر- الإلمامَ به.

لكنْ عزاؤُنا أن الكتاب بين أيديكم، وشروحه كثيرة جدا لمن أراد أن يَطَّلِع عليها، ولعلنا بهذه العُجالة اليوم وغدًا -إن شاء الله- أن نأتي على نِصف الكتاب، والبقية لعل الله أن يُيسِّرَ عرضها مستقبلا.

هذا الكتاب يا إخوان ألفه الشيخ -رحمه الله تعالى- وبدأ في تأليفه يومَ الاثنين غُرَّةَ رمضان، سنة خمس وستين وثلاث مئة وألف، وانتهى من تأليفه في ستةٍ من شوال، والعلاقة بين القرآن والصيام يا إخوان علاقة وثيقة جدًّا، كيف والقرآن نزل في شهر الصيام، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وترون نشاط الناس في قراءة القرآن وقت الصيام، سواء في رمضان أو في غير رمضان، فنَظَرَ الشيخ -رحمه الله تعالى- وتأمل وتدبر، وكتب هذا الكتاب الذي جاء حافلا بالقواعد، والفوائد، واللطائف، في أسلوب غاية في السهولة، والسلاسة بالعبارة، تقرأه فلا تَكِلُّ، ولا تَمَلُّ من قراءته، وفرائده وفوائده متناثرة بين طَيَّاتِه، بحاجة إلى أن تقف عند كل قاعدة، وتنظر ما فيها من الفوائد.

ولو رجعتم بعد استعراض هذا الكتاب إلى تفسير الشيخ -رحمه الله- تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، لرأيتم أن الشيخ وَظَّفَ هذه الفوائد في التفسير توظيفًا جيدًا، وهذه يا إخوان المهارة في تطبيق القواعد،

فليس المقصود بالقواعد أن تُحفظ فقط، ولا أن تُفهم فقط، بل لا بد مِن تطبيقها مع حفظها وفهمها يا إخوان، هذا العلم العزيز.

فالشيخ -رحمه الله- لا يعرض مجرد عرض القاعدة والمثال، لكنه يُربِّي في طالب العلم مَلَكَةَ التطبيق، وأسلوب هذا يَتَجَلَّى في كتاباته جميعها، فيكتب بقلمه، وكأنه يُخاطبك بلسانه -رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عنا وعن العلم وأهله خير الجزاء-.

ذكر في هذا الكتاب إحدى وسبعين قاعدة، بعضها قواعد، وبعضها ضوابط كما ذكر هو -رحمه الله تعالى-، وفيها من الفوائد وحُسن الاستدلال والاستنباط ما تَلْحَظُونه عند قراءة هذا الكتاب.

وسوف نستعرض رؤوس هذه القواعد يا إخوان، والبقية عليكم، وأنا دائما أُطالب الإخوان بأن يَتَحَمَّلوا الجهد الكبير في طلب العلم، فالمُعلِّمُ أيا كان يتحمل دورًا، لكنَّ الدَّورَ الأكبر والجهد الأكبر يقوم به الطالب نفسه، وهنا تتبين يا إخوان أقدارُ طلاب العلم ودرجاتهم ونشاطهم، وجدهم واجتهادهم.

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ المَعَالي *** وَمَنْ طَلَبَ العُلَا سَهِرَ اللَّيالِي

وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ *** أَضَاعَ العُمْرَ فِي طَلَبِ المُحَالِ

تَرُومُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا *** يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّآلِي

قَدَّمَ الشيخ لهذه القواعد مقدمة لطيفة ومفيدة وعظيمة، تُمثِّل المنهج الذي كان عليه السلف -رحمهم الله تعالى-، والذي من أجله وَضَعَ الشيخ هذه القواعد؛ ليُوجِّهَ طلاب العلم إلى أن يعودوا إلى ما كان عليه الأوائل، فلن يُصلِحَ آخرَ هذه الأُمَّة إلا ما صلح عليه أولها، ولعلَّ الشيخ يقرأ لنا القاعدة الأولى.. المقدمة لا بأس..

{الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالديه ولمشايخه وللحاضرين ولجميع المسلمين.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل

فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

أما بعدُ:

فهذه أصولٌ وقواعدُ في تفسير القرآن الكريم، جليلة المقدار عظيمة النفع، تُعِينُ قارئها ومُتأمِّلَها على فهم كلام الله والاهتداء به. ومَخْبَرُها أَجَلُّ من وصفها؛ فإنها تفتح للعبد من طُرُقِ التفسير ومنهاج الفهم عن الله ما يُغني عن كثيرٍ من التفاسير الخالية من هذه البحوث النافعة.

أرجو اللهَ وأسألُه أن يُتِمَّ ما قصدنا إلى إيرادِه، ويَفتَحَ لنا من خزائن جودِه وكرمه ما يكون سببًا للوصول إلى العلم النافع والهُدى الكامل.

فاعلم أن عِلْمَ التفسير أجلُّ العلوم على الإطلاق، وأفضلُها، وأوجبُها، وأحبُّها إلى الله؛ لأنَّ الله أَمَرَ بتدبُّر كتابه، والتفكر في معانيه، والاهتداء بآياته، وأثنى على القائمين بذلك وجعلهم في أعلى المراتب، ووعدهم أسنى المواهب، فلو أنفق العبد جواهر عمره في هذا الفن؛ لم يكنْ ذلك كثيرًا في جَنْبِ ما أهو أفضل المطالب، وأعظم المقاصد، وأصل الأصول كلها، وقاعدة أساس السعادة في الدَّارينِ، وصلاح أمور الدين والدنيا والآخرة، وبه

تتحقق للعبد حياةٌ زاهرةٌ بالهُدى والخير والرَّحمة وطِيب الحياة والباقيات الصالحات.

فلْنَشْرَعْ الآن بذكر القواعد والضوابط على وجه الإيجاز الذي يَحصُلُ به المقصود؛ لأنه إذا انفتح للعبدِ البابُ وتَمَهَّدَتْ بفَهْمِ القاعدةِ الأسبابُ، وتَدَرَّبَ منها بعِدَّةِ أمثلةٍ تُوضِحُها وتبين طريقها ومنهجها -لم يحتج إلى زيادة البسط وكثرة التفاصيل، ونسأله تعالى أن يُمِدَّنا بعونه ولطفه وتوفيقه، وأن يجعلنا هادين مُهتدين بمَنِّه وكرمه وإحسانه.

القاعدة الأولى: في كيفية تلقي التفسير}.

أثنى الشيخ -رحمه الله- على هذا الكتاب، وهو خليق بالثناء، ثناؤه ليس عُجْبًا حاشاه، وإنما لِيُبَيِّنَ مقدار هذه القواعد، وهذا الصنيع قد يحتاج إليه طالب العلم لحَفْزِ هِمَمِ الطلاب ولفت أنظارهم إلى أهمية العلم، وأهمية هذا الكتاب.

يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-: (لو أَعلَمُ أن أحدا عنده علمٌ في كتاب الله ليس عندي تَنالُه الإبلُ؛ لذهبت إليه، أو لركبتُ إليه).

لا يُريد أن يقول للناس: أنا عندي علم ليس عند غيري، ولكنه يَحُثُّ الناس على طلب العلم، ويُبين لهم أن العلم تُضرب إليه أكباد الإبل، وتُنفق فيه جواهر العُمُر، ويَحُثُّ الناسَ أيضًا إلى أن يستفيدوا مما عنده من العلم.

يوجه الشيخُ الناسَ بهذا إلى أهمية هذا الكتاب.. نعم.

{قال -رحمه الله-:

كلُّ مَن سَلَكَ طريقا وعَمِلَ عملا، وأتاه من أبوابه وطُرُقه المُوصِلَة إليه، فلا بد أن يُفلح وينجح، كما قال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

وكلما عَظُمَ المطلوبُ تَأَكَّدَ هذا الأمر، وتَعَيَّنَ البحثُ عن أمْثَلِ وأَقْوَمِ الطُّرُق الموصلة إليه، ولا ريب أنَّ ما نحن فيه هو أَهَمُّ الأمور وأجلُّها، بل هو أساسها وأصلها.

فاعلمْ أنَّ هذا القرآن العظيم أنزله الله لهداية الخلْق وإرشادهم، وأنه في كل وقتٍ وزمانٍ ومكان يُرشد إلى أهدى الأمور وأقومها، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

فعلى الناس أن يَتَلَقَّوْا معنى كلام الله كما تَلَقَّاه الصحابة -رضي الله عنهم-، فإنهم كانوا إذا قرؤوا عشْر آيات أو أقل أو أكثر، لم يتجاوزوها حتى يَعرفوا ويُحقِّقوا ما دَلَّتْ عليه من الإيمان والعِلم والعمل، فيُنزلونها على الأحوال الواقعة، يُؤْمِنون بما احتوت عليه من العقائد والأخبار، ويَنقادون لأوامرها ونواهيها، ويُطبِّقونها على جميع ما يُشاهدون من الحوادث والوقائع الموجودة بهم وبغيرهم، ويحاسبون أنفُسَهم هل هم قائمون بها أو مُخِلُّون؟ وكيف الطريق إلى الثبات على الأمور النافعة، وتدارك ما نقص منها؟ وكيف التخلص من الأمور الضَّارَّة؟ فيهتدون بعلومه، ويَتَخَلَّقون بأخلاقه وآدابه، ويَعلمون أنه خطاب من عالم الغيب والشهادة، مُوجَّه إليهم، ومُطالَبون بمعرفة معانيه والعمل بما يَقتضيه.

فمن سلك هذا الطريق وجَدَّ واجتهد في تدبُّر كلام الله؛ انفتح له الباب الأعظم في علم التفسير، وقَوِيَتْ معرفته، واستنارت بصيرته، واستغنى بهذا الطريق عن كثرة التَّكلُّفات وعن البحوث الخارجية، وخصوصا إذا كان قد أَخَذَ من علوم العربية جانبًا قويًّا، وكان له إلمامٌ واهتمام بسيرة النبي -صلى

الله عليه وسلم-، وأحواله مع أوليائه وأعدائه، فإن ذلك أكبر عون على هذا المطلب.

ومتى علم العبد أن القرآن فيه بيان كل شيء، وأنه كفيل بجميع المصالح مبين لها حاثٌّ عليها، زاجر عن المضارِّ كلها، وجعل هذه القاعدة نصْبَ عينيه، ونزلها على كل واقع وحادث سابق أو لاحق؛ ظهر له عظيمُ موقعِها وكثرة فوائدها وثمارها.

ويلحق بهذه القاعدة:

القاعدة الثانية:. }.

هذا الكلام، وهذه المقدمة تمثل المنهج الذي كان عليه الصحابة -رضي الله عنهم- مع كتاب الله -عز وجل-، وهذا المنهج يا إخوان بدأ النَّاسُ يُقصِّرون فيه مُنذُ القِدَمِ؛ فإن الله -سبحانه وتعالى- أنزل القرآن ليَدَّبَّرَ الناسُ آياته، كما قال -عز وجل-: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

فوُصِفَ القرآنُ بأنه مبارَكٌ، وأُطلِقَتِ البَرَكةُ هنا ولم تُقَيَّدْ بقَيْدٍ، في هذه الآية وفي ثلاث غيرها في كتاب الله -عز وجل-، ورد وصفها في القرآن

المبارك بهذا الوصف الجليل العظيم، ولم يُقَيَّدْ بقيدٍ حتى يكون هذا الوصفُ لا حدَّ له ولا نهايةَ.

ثم قال -عز وجل-: ﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا﴾، ولم يقل ليقرؤوا؛ لأن من تدبر لا بد أن يقرأ، ومن قرأ فليس بالضرورة يتدبر، ثم قال: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ فعطف التَّذكُّر على التَّدبُّر وذكر التَّدبُّر بعد البركة، مما يدل على أن البركة لا تكون كاملةً إلا بتدبُّرِه، والتَّذكُّر لا يكون إلا بعد تدبُّره.

وتدبُّرُه هو التَّفكُّر فيه، وتأمُّل معانيه، وهذا لا يكون إلا بفهم المعنى، لا يكون بمجرد حفظ الألفاظ، وهَزِّها، وسَرْدِها، لا، وإنما يكون بقراءة اللفظ وضبطه وإتقانه، والنظر في المعنى، والتَّدبُّر حالَ القراءة، فيجمع الإنسان بين تحريك لسانه بالقراءة، واستحضار معناه في قلبه، وتدبره في عقله، فتجتمع فيه هذه الأمور الثلاثة، فإذا اجتمعت كان هذا هو المنهج الأمثل والطريق الأقوم في قراءة كتاب الله -عز وجل-، وبالتالي ينال الإنسان ما يفتحه الله تعالى عليه من بركاته.

ولهذا قال ربنا -عز وجل- في دعوة إبراهيمَ لمحمدٍ -صلى الله عليه وسلم- وأمته، ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فكثير من الناس أو أكثر الناس أخذوا أول الآية: يتلو عليهم آياته، واقتصروا على التِّلاوة، وتركوا النظر في المعنى؛ لأن النظر في المعنى يحتاج إلى جهد.

وعدم النظر في المعنى يؤدي إلى عدم التدبر؛ لأن من لا يفقه المعنى كيف يَتَدَبَّرُه، ثم ذكر التَّزكية بعد أن ذكر التِّلاوة والنظر في المعنى، دليل على أن الثمرة والنتيجة وهي التزكية، إنما تكون بالأمرين جميعا.

ولهذا يقول أهل العلم: (إن ألفاظ القرآن وسيلة، ومعانيه غاية)، فالغاية من قراءة اللفظ فهم المعنى والتأمل فيه وتدبره، ثم يأتي بعد ذلك العمل، وهذا الأمر ورد في كتاب الله في غير ما آية، وورد في أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، في حديث عثمان المشهور، «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، تَعَلَّمَ يا إخوان، وتعلُّمُه يعني تعلُّم ألفاظه وتعلُّم معانيه، ليس مجرد الاقتصار على اللفظ فقط.

وورد عن الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- ما يدل على أنهم كانوا على هذا المنهج، وكانوا يُوجِّهون الناس إليه، ويُربُّونهم عليه، قال رجل لعبد الله بن مسعود: إني قرأت المُفَصَّل في ركعة، قال: هَزٌّ كهَزِّ الشِّعر، لقد عَلِمْتُ النظائر التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ بها، وعد عشرين سورة كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ بها في صلاة الليل.

وقال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرٍ وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهَا كَمَا تَتَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، وَلَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ وَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ.

وهذا المنهج قديم، والاقتصار على قراءة الألفاظ واستمر الناس عليه يا إخوان إلى وقتنا، فنحن بحاجة إلى نعود إلى ما كانوا عليه -رحمهم الله تعالى-.

إذا أردتم اللذة في قراءة القرآن، وأردتم الفوائد العظيمة في القرآن، فاقرؤوه بالمعنى، وتدبروه بالعقول، حتى تحصل الثمرة المرجوة من كتاب الله -عز وجل-، وحتى تحصل البركة العظيمة.

وقد ذكر ذلك أبو عبد الرحمن السُّلَمي التابعي الجليل -رحمه الله-، والذي قضى معظم في تعليم كتاب الله -عز وجل-، حيث مكث من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج في الكوفة وهو يُعلِّم الناس القرآن، يقول أبو إسحاق السَّبِيعِيُّ: مكث أربعين سنة.

قال -رحمه الله-: حدثنا أصحابنا الذين كانوا يُقْرِؤوننا القرآن، عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان، أنهم كانوا إذا أخذوا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- عشر آيات، لم يتجاوزوهن حتى يتعلموهن وما فيهن من العِلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعِلم والعمل جميعا.

احفظوا هذا الأثر يا إخوان فهو المنهج، تعلمنا القرآن لفظا، والعلم فهما، والعمل تطبيقا، وبالتالي تحصل لذة القرآن العظيم والتي لا تدانيها يا إخوان لذة.

للقرآن لذة يا إخوان، للقرآن فرحة في القلوب، للقرآن طَمأنينة في النفوس، لكنها لا تَحصُلُ كاملة إلا بقراءته على هذا المنهج القويم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

لما خرج عمر -رضي الله عنه- يَسِمُ إبل الصدقة، وكان معه غلام له، فلما رآها هالته، فقال: هذا فضل الله ورحمته، قال عمر: كَذَبْتَ! فضل الله ورحمته القرآن، وتلا الآية.

ومعنى كذبت في لغة أهل الحجاز: أخطأت.

هذا فضل الله ورحمته يا إخوان، وإنما الفرحة والبهجة في قراءة كتاب الله -عز وجل-، فعلينا يا إخوان أن نرجع إلى هذا المنهج القويم، ونجاهد أنفسنا عليه، لا بد من الجهاد، جهاد النفس، الأمور الكبار لا تأتي بالأماني يا إخوان، ولا بالجهود اليسيرة السهلة، وإنما تأتي بـ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

يقول ثابتٌ البُنَانِيُّ: جاهدتُ نفسي على القرآن عشرين سنة، ووجدتُ لذَّتَه عشرين سنة.

ما جاءت اللذة بين عَشِيَّةٍ وضحاها، لكن الإنسان يَبذُل الجهد ويُجاهد النَّفْس ويستعين بربه، ويدعو الله -عز وجل-، ادعوا ببعض الأدعية يا إخوان، مستعينين بالله -سبحانه وتعالى-؛ لعلَّ الله أن يُذِيقَنا هذه اللذة وهذه الحلاوة، لمَّا دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس؛ قال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ الْكِتَابَ»، وفي رواية: «وَالْحِكْمَةَ»، وفي رواية: «وَالتَّأْوِيلَ»، فغدا بهذه الدعوة يا إخوان حَبْر الأُمَّة وتَرْجُمان القرآن.

وفي الحديث: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلًا هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»، فيَحسُنُ بالإنسان أن يَنتخب له دعواتٍ من الكتاب والسنة، ويدعو بها دائما يا إخوان، فمن أدام الوقوف بالباب، لا بد أن يفتح له، فيقول الله: اللهم فقِّهني في الدِّين، وعَلِّمْني الكتاب والحكمة وعَلِّمْني التأويل، يقول: ربِّ زدني عِلما واهدني وسَدِّدني، يقول: ربِّ اجعلني من أهل القرآن الذين هم أهلُك وخاصتك.

ومع الدعاء يفعل الأسباب ويستعين بالله -سبحانه وتعالى- لعل الله أن يثبته على هذا الطريق، وييسره عليه.

ولنبدأ يا إخوان بهذه القواعد، ولا أريد أن يكون الكلام من طرف واحد، بل أريد مشاركتكم، وإفادتكم، جزاكم الله خيرا.

{قال -رحمه الله-:

القاعدة الثانية: العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب}.

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، هذه قاعدة يا إخوان أصولية، والقواعد لا شك يؤخذ من قواعد الأصول لقواعد التفسير، ومن قواعد الفقه كما سيمر بنا أيضًا، وهذه علوم بينها ترابُط، فالعِبرة بألفاظ القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وذلك أن بعض الآيات قد تنزل لسبب من الأسباب، فهل تكون هذه الآية خاصَّة بالسبب؟ الجواب: لا، ليس بالإسلام خصوصيات لأشخاص، لا، بل أحكامه عامَّة ولكل البشر، مثال ذلك: سورة المجادِلة لمَّا نزلت، كان سبب نزولها ظِهَار أَوْسِ بن الصَّامت من امرأتِه خَوْلَة بنت ثَعلَبَةَ، جاءت النبي -صلى الله عليه وسلم- تشتكي، قالت: يا رسول الله! أفنى شبابي، وأكل مالي، ونثرت له بطني، ثم ظهر

مني.. تقول عائشة: بأدنى البيت وهي تُكلِّمُ النبي -صلى الله عليه وسلم- لا أسمع ما تقول.

حتى سمع الله نجواها من فوق سبع سموات، فنزلت هذه السورة، ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ..﴾ [المجادلة: ٣] الآيات، هل هذا الحكم خاصٌّ بأوس بن الصامت وزوجه! الجواب: يا إخوان، لا، والدليل أن الله قال: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾، وهذا اسم موصول، والاسم الموصول من صيغ العموم، والعموم له صيغ متعددة، فمنها الأسماء الموصولة.

فهذا الحكم إذن عامٌّ يشمل خولةَ وزوجَها، ويشمل كل من وقع في هذا الزور والإثم.

ونظيره أيضًا قصة اللِّعان، فإنَّ لها سببًا، والحُكم عامٌّ فيها لمن نزلت فيه ولغيره، ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ [النور: ٦].

ونظيرها أيضًا قوله -عز وجل-: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، يقول عبد الله بن

مَعْقِل: جلست إلى كَعْبِ بن عُجْرَةَ وسألته، قال: نَزَلَتْ فِيَّ خاصَّة وهي لكم عامَّة، انظر فقه الصحابة، يا إخوان أُخذت القواعدُ من الكتاب ومن السُّنة ومن الصحابة -رضي الله عنهم-، يقول: نزلت فِيَّ خاصَّة، حُملت إلى رسول الله والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «مَا كُنْتُ أَرَى الْجَهْدَ بَلَغَ بِكَ مَا بَلَغَ ...» إلى آخر الحديث، وأمره بالكفَّارة المذكورة في هذه الآية.

فدَلَّ كلامه -رحمه الله- على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وعليه فقِسْ، كل آية نزلت بسبب نزولٍ، فإنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

إلا أن العلماء -رحمهم الله- يقولون: إن صورة السبب تدخل دخولًا قطعيًّا، وأما غيرها من الصور فإنها تدخل إما بعموم اللفظ وهذا هو الأقرب، وإما بعموم المعنى وهو القياس، المقصود أنَّ الألفاظ العامَّة تبقى عامَّة، لا تكون خاصَّة بالحال أو بالسبب الذي نزلت من أجله.

{قال -رحمه الله-:

القاعدة الثالثة:

الألف واللام الداخلة على الأوصاف، وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحَسَبِ ما دخلت عليه}.

نعم.. هذه أيضًا من صيغ العموم، والألف واللام الاستغراقية، والألف واللام في اللغة العربية يا إخوان لها معانٍ، فهي تأتي للتعريف، وتأتي زائدة، وتأتي للاستغراق، كما هنا، وهي تكون للاستغراق، بمعنى أنها تتناول جميع ما دخلت عليه دون استثناء، وسواء دخلت على وصف أو دخلت على اسم جنس، وبالمثال يتضح الكلام يا إخوان.

مَثَّلَ الشيخ -رحمه الله تعالى- بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ في عشر صفات، اتصف بها هؤلاء الموفقون رتب الله -سبحانه وتعالى- عليها الفضل والثواب والأجر العظيم، حيث قال في آخرها: ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ﴾ مَن مِن المسلمين والمؤمنين والقانتين والصادقين والصابرين له هذا الأجر العظيم؟ كلهم.

معيار العموم يا إخوان وعلامته، يذكر العلماء للعموم معيارين، المعيار الأول: كلمة (كل)، إذا أدخلت كلمة (كل) واستقام المعنى فإنه يدل على

العموم، أما إذا لم يستقم المعنى فلا، ولو قلنا: إن جميع المسلمين وجميع المؤمنين أَعَدَّ اللهُ لهم مغفرة يستقيم المعنى.

هناك معيارٌ ثانٍ يذكرونه للعموم، وهو الاستثناء، الاستثناء أيضًا معيار للعموم، تقول: نجح الطلاب إلا بكرا، الطلاب عامٌّ، ولو أدخلت (كل) أيضًا يستقيم، نجح كل الطلاب إلا بكرا، لكن هل تقول: نجح زيد إلا بكرا، لا يمكن، أو نجح زيد نجح كل زيد، لا يمكن، فدخول (كل) مع (إلا) معيار يدل على العموم.

هل الأجر العظيم المرتب في هذه الآية على هذه الأوصاف العشرة هل هو لكل أحد؟ أم أن الناس يختلفون فيه؟ يعني كل المسلمين أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما أم أنهم يتفاوتون حسب أقدارهم وأعمالهم؟

يتفاوتون، ولهذا تُذكر قاعدة يا إخوان في ضمن هذه القاعدة، وهي أن الحكم إذا عُلِّق بوصف، فإنه يقوى بقوة ذلك الوصف ويَضعُف بضعفه، الحُكمُ هنا ما هو؟ ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فهذه المغفرة وهذا الأجر العظيم يكبر ويعظم ويكثر بقوة الأوصاف المتقدمة وهي العشرة الأوصاف.

فكلما كان الإنسان أقوى إيمانا، وأكثر صَبراً وصِدقا وقُنوتا، كل ما كان نصيبه من الأجر أكبر وأوفر، وكل ما كان أقلَّ كان نصيبُه أقلَّ.

إذن: نقول: لدينا في هذه الآية يا إخوان، قاعدتان: القاعدة الأولى: (أل) الداخلة على الأوصاف تفيد ماذا؟ تفيد العموم، القاعدة الثانية ما هي؟ إذا عُلِّقَ الحُكمُ بوصف فإنه يقوى بقوة ذلك الوصف ويضعف بضعفه.

أما دُخولُها على أسماء الأجناس فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩] كل إنسان، ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، الإنسان اسم جنس يشمل جميع البشر، فـ (أل) هنا تفيد ماذا؟ تفيد الاستغراق.

ذكر المؤلف جملة من الأمثلة لـ (أل) الاستغراقية، ومن أعظمها يا إخوان، وهذا ما يتميز به كتاب الشيخ، وتفسير الشيخ -رحمه الله-، وهو العناية بالتوحيد، وإيضاح العقيدة من خلال كتاب الله -عز وجل-، وهذا مطلب نحتاج إليه كثيرا، لا تجده إلا عند علماء السلف ابن كثير، ابن القيم، ابن تيمية، علماء السلف -رحمهم الله تعالى- يُعْنَوْنَ بهذا الجانب.

خذ مثلا اسم الله الرحمن، الرحيم، العليم، السميع، البصير، إلى تتمة أسمائه -سبحانه وتعالى- الحسنى، الألف واللام الداخلة على الاسم تدل على أي شيء يا إخوان؟ الاستغراق، فالعليم مثلا يشمل ماذا؟ العلم بما كان وبما يكون، وبما لم يكن لو كان كيف يكون، والعلم بالظواهر والبواطن وبالسرائر، والعلم بما دَقَّ وما لَطُفَ وما كبر وما صَغُرَ، العلم بكل شيء، من أين أخذنا هذا العموم؟ من (أل) الدالة على الاستغراق.

السميع، البصير، واعتبروها يا إخواني في كل أسمائه -سبحانه وتعالى-، كذلك البر والتقوى، عموما إذا جاء اسمٌ ودخلت عليه هذه الألف فإنه يدل على العموم ويستغرق جميع الأفراد، وهذه أيضًا صيغة من صيغ العموم.

{قال -رحمه الله-:

القاعدة الرابعة:

إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام؛ دلت على العموم}.

أيضًا هذه صيغة من صيغ العموم وهي النكرة إذا وقعت في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام، ولو أضفنا الإنكار لكان أحسن، إذا وقعت النكرة في إحدى هذه الصياغات الأربع، فإنها تدل على العموم.

الأول ما هو يا إخوان، في سياق النفي، من يعطيني مثالًا؟

...

لا، هذا نهي، ترى الشيخ يا إخوان في المقدمة ذكر كلمة لطيفة، وهي أن طالب العلم لا بد أن يكون عنده معرفة بالنحو، النحو يا إخوان، النحو يشتكي أن طُلَّابه قَصَّروا فيه، فاحرصوا عليه يا إخواني، كل الدورات التي تأتي يفترض أن يكون فيها استعراض لكتاب وجيز، مع أن النحو لا يكفي فيه يوم ويومان، ولا شهر وشهران، يحتاج إلى جهد وإلى وقت.

نعم.. أورد الأخ عبد الرحمن آية فيها ثلاث نكرات وقعت في سياق النفي، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الانفطار: ١٩] لا تملك نَفْسٌ لأي نَفْسٍ ولا تملك أيَّ شيءٍ، لا تملك شيئا؛ إذ الأمر لمن بيده الأمر -سبحانه وبحمده-، فيلاحظ العموم هنا، لا تملك نَفْسٌ لنَفْسٍ أيَّ شيء أبدا، لا

يستطيعون، ولا تملك لأي أحد، لأم وأب وأخت وأخ، ولكل أحد، ولا تملك شيئا إطلاقا.

ومنه قولك أيضًا: لا إله إلا الله، هذه الكلمة العظيمة، كلمة التوحيد، أين النكرة؟ (إله) فهذه الكلمة كلمة التوحيد، دَلَّتْ على نفي جميع ما يعبد من دون الله -عز وجل-، وإثبات العبادة لله -عز وجل-.

وأُضيف يا إخواني إلى النفي، أن النكرة إذا جاءت في سياق النفي؛ فإنها تكون نصًّا في العموم في حالتين:

١- إذا جُرَّتْ بـ(مِن).

٢- إذا وقعت اسما لـ(لا) النافية للجنس.

مرة ثانية:

إذا وقعت النكرة في سياق النفي فماذا تفيد؟ تفيد العموم، طيب متى تكون نصا في إفادة العموم؟ في حالتين، ما هما؟

١- إذا جرت بمن، تقول: ما حضر مِن طالب، ما حضر أحدٌ إطلاقا، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، نصٌّ في نفي أي معبود سوى الله -عز وجل-.

﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩] نفي منهم أن يكون جاءهم بشير أو نذير.

٢- إذا وقعت اسما لـ (لا) النافية للجنس، مثل كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، ومثل: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ لأن (لا) النافية للجنس تعمل عمل إن يا إخوان، فتنصب المبتدأ اسما لها، وترفع الخبر خبرا لها.

ما عدا هاتين الحالتين، النكرة في سياق النفي تفيد العموم، لكن هل إفادتها نصا أم ظاهرا؟ ظاهرا، طيب ما الفرق بين النص والظاهر؟ لا نريد الدخول في مباحثه، لكن يحتاج إلى هذا.

النص: ما لا يحتمل إلا معنًى واحدًا فقط، لا يوجد أي احتمال، لا يَرِدُ عليه أي احتمال، لا إله إلا الله نفي لجميع ما يُعبد من دون الله، ما يرد أدنى احتمال.

وأما الظاهر: فإنه ظاهر في العموم، ظاهر لكن يَبقى الخصوصُ واردًا، لكن الظاهر منه والمعنى الراجح القوي هو إفادته للعموم.

٢- النكرة في سياق النهي كما ذكرت، ما المثال؟ ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، شيئا نكرة هنا في سياق النهي، فيشمل كل

معبود من دون الله -عز وجل-، ملكا مُقرَّبًا أو نبيا مرسلا، أو حَجَرا أو شجرا، أيا كان المعبود، ويشمل أيضًا أي عبادة عُبدت من دون الله -عز وجل- فيشمل الشرك كله، الأكبر أو الأصغر، الظاهر أو الخفي، فشملت الآية كل معبود عُبِدَ من دون الله، وكل عبادة عُبِدَتْ من دون الله -عز وجل-، وهذا العموم أخذناه من النكرة التي جاءت في سياق العموم.

٣- النكرة في سياق الشرط، كقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الأحزاب: ٥٤]، إن تُبدوا ماذا؟ شيئا، أي شيء، أدخل كلمة شيء وكل يا أخي، كل شيء، الكلام مستقيم، فشيء نكرة في سياق الشرط، إن الشرطية، إن حرف شرط، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، أي ضر؟ كل ضر.

﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]، أي رحمة؟ كل رحمة، من أين أخذتم هذا العموم؟ من النكرة في سياق الشرط.

٤- النكرة في سياق الاستفهام الإنكاري، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]، هل أداة استفهام، لكن هل الاستفهام هنا على بابه، بمعنى أن الله

يسأل، لا، وإنما هو استفهام ماذا يا إخوان؟ استفهام إنكاري، ينكر الله - سبحانه وتعالى- عليهم هذا الأمر، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾.

فقوله ﴿مِنْ خَالِقٍ﴾ هنا نكرة في سياق الاستفهام، فتعم كل ما يدعيه المشرك أنه يمكن أن يكون مصدرا للرزق له.

وكقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾ [القصص: ٧١]، من إله؟ استفهام، أي إله كائنا من كان تدعونه يأتيكم بالضياء، لا يمكن.

الخلاصة أو سؤال: متى تكون النكرة للعموم؟

إذا جاءت في سياق:

١- النفي.

٢- النهي.

٣- الشرط.

٤- الاستفهام.

سؤال ثانٍ: ما الفرق بين مجيء النكرة في سياق النفي ومجيئها في سياق الإثبات؟

إذا جاءت في سياق النفي كما ذكرنا تفيد العموم، لكن في سياق الإثبات تفيد الإطلاق، لاحظتم الفرق يا إخوان، قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة: ٣]، أين النكرة؟ رقبة، جاءت في سياق الإثبات، هل هي عامة، تحرير جميع الرقاب؟ لا، ولكنها رقبة واحدة، فمن حيث العدد هي واحدة، فيها شرط عموم من وجهة أخرى ما نريد أن ندخل في الفرق بين العموم المطلق والعموم العام، لكن إذا جاءت في سياق الإثبات فإنها تفيد الإطلاق.

من يذكر لي يا إخواني القواعد التي أخذنا، القاعدة الأولى مقدمة، لكن القاعدة الثانية والثالثة والرابعة، من يأتي بها؟

القاعدة الأولى: العبرة بماذا بعموم اللفظ لا بخصوص اللفظ.

القاعدة الثانية: (أل) الداخلة على الأوصاف، وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق.

ثالثا: النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام الإنكاري تفيد العموم.

نعم..

{قال -رحمه الله-:

القاعدة الخامسة:

المفرد المضاف يفيد العموم}.

أيضًا هذه من صيغ العموم، إذن كم أخذنا من صيغة يا إخوان من صيغ العموم؟ كم صيغة؟ أربع ولا ثلاث؟ كم صيغة من صيغ العموم، القاعدة الثانية ما فيها، ؟؟؟ يعم، وكذلك الجمع، لكن الجمع حتى وإن لم يضف يفيد العموم، فإذا أضيف المفرد فإنه يفيد العموم.

عندما نتحدث عن القواعد، القواعد قد تخرج عنها بعض المسائل، ولهذا دائما يقولون في القواعد، سواء في التفسير أو الفقه: قاعدة أغلبية، ما معنى أغلبية؟ ليست شاملة لكل شيء، لا يخرج عنها شيء، لكن ثمة مسائل تخرج عن القاعدة، فالمفرد إذا أضيف يقولون: يُفيد العموم، هذا من أوضح الأمثلة يا إخوان والأمثلة الأخرى واضحة ولله الحمد، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، أين المضاف؟ نعمة، ولفظ الجلالة مضاف إليه، طيب هل هذه نعمة واحدة ولا نعم؟ نعمة مفرد هنا

نعمة، لكنها نعم، ما دليلكم من الآية؟ ذات السورة، وأيضًا تعدوا، فالعد لا يكون لشيء واحد.

والإحصاء وعدمه لا يكون لشيء واحد، فدل على أن المراد بالنعمة هنا النعم، ومن أين جاء هذا العموم؟ من الإضافة.

مثَّل المؤلف بأمثلة جميلة يا إخواني، منها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ..﴾ [النساء: ٢٣]، أمهاتكم يشمل جميع الأمهات، الأم والجدة وأم الجدة والجدة من قبل الأم والأب، إلى آخره؛ لأن هؤلاء جميعا يصدق عليهن وصف الأم، البنات أيضًا يشمل البنات وبنات البنات وبنات الأولاد وهلم جرا، الخالة يشمل خالتك وخالة أبيك وخالة جدك، وخالة أبنائك، فكل من كانت خالته فإنها تَحرُمُ عليه، وهذا العموم أخذناه من الإضافة، أمهاتكم، بناتكم، أخواتكم.

أيضًا من الأمثلة الجميلة التي أوردها الشيخ، وكأنه رأى فيها تدرج، قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، اختلف العلماء وأهل التفسير في مقام إبراهيم، هل هو المقام المعروف، والذي كان يقوم عليه إبراهيم عندما كان يبني البيت، وكان ملاصقا للكعبة فأُخِّر، قيل: أخَّره

عمر -رضي الله عنه- وأرضاه، أم أن المراد بالمقام هنا جميع مقامات الحج التي قامها إبراهيم -عليه السلام-؟ فيشمل الصلاة عند المقام والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة، وجميع مشاعر الحج، قيل بهذا، وإذا قيل بهذا القول فمن أين أُخذ العموم؟ أُخذ من ماذا يا إخوان؟ الإضافة مقام مضاف، وإبراهيم مضاف إليه، فشمل جميع مقامات المقامات التي قامها إبراهيم -عليه السلام-.

أشمل من ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، أين المضاف؟ مِلَّته في ماذا في الحج أم في كل شيء، في كل شيء، ملة إبراهيم، ملته في التوحيد وفي الإخلاص، الأعمال الصالحة، وفي كل ما هو من ملته -عليه الصلاة والسلام-.

ثالثا: قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠]، بعد أن ذكر الله -عز وجل- في هذه الآيات، كم نبيًّا يا إخوان؟ في آية الأنعام، كم؟ ثمانيةَ عَشَرَ نبيًّا، في هذا السرد الجميل البديع، ثمانية عشر اسمًا، لو أراد شاعر أن يجعله في قصيدة يحتاج إلى عشر أبيات أو أكثر.

فِي تِلْكَ حُجَّتُنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ *** مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ، وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمُو

إذن: في هذه الآيات ثمانية عشر نبيا، يبقى سبعة لم يذكروا فيها، ذكروا في القرآن، إذن كم ذكر في القرآن من الأنبياء؟ خمسة وعشرين، في هذه الآيات: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣- ٨٦].

من الفوائد يا إخوان -نخرج بعض الشيء- أن الأنبياء الذين ذكروا في القرآن هم أفضل الأنبياء، أفضل ممن لم يذكروا، ما الدليل؟ ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يعني هؤلاء فضلوا على العالمين.

إذن ذكر في هذه الآيات ثمانية عشر:

فِي تِلْكَ حُجَّتُنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ *** مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ، وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمُو

إِدْرِيسُ هُودٌ شُعَيْبٌ صَالِحٌ، وَكَذَا *** ذُو الْكِفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

هؤلاء السبعة الذين لم يذكروا في هذه الآيات، قال الله -عز وجل- بعد أن ذكر هؤلاء الثمانية عشر -عليهم الصلاة والسلام-، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ أين المضاف؟ هداهم، أي هدى أمر المصطفى أن يقتدي به؟ جميع هداهم، من أين أخذتم العموم؟ من الإضافة.

ومن هنا أخذ العلماء من هذه الآية دليلا، والمسألة ولله الحمد واضحة وبينة، لكن وجه الاستدلال بهذه الآية على مسألة وهي أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- أفضل الأنبياء، فما وجه الدَّلالة؟ بهداهم اقتده، اقتدى بهدى جميع الأنبياء قبله، وجمع محاسن جميع الأنبياء قبله، وبالتالي كان له هذا الفضل والقدر والمنزلة صلوات الله وسلامه عليه.

من الأمثلة التي ذكر المؤلف أيضًا على هذه القاعدة، ما هي هذه القاعدة؟ المفرد المضاف: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، أين المضاف؟ صلاتي، أي صلاة؟ أدخلوا (كل) يا إخوان، كل الصلاة.

٢- نسكي، أي نسك؟ كل النسك، بعض أهل العلم يقولون كالذبح هنا، وإذا ذكر فمرادهم بذلك التمثيل يا إخوان، أحيانا يعني المفسر يذكر يقول النسك الذبح، ليس مراده الحصر، وإنما النسك جميع العبادات.

- ومَحياي، يعني كل ما آتيه في حياتي.

- ومَماتي، يعني ما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح.

وهذه الآية يا إخوان فيها تدرج لطيف في العبودية لله -عز وجل-، وما ينبغي أن يكون عليه المسلم، قل إن صلاتي فقط، لا، بل وما هو أشمل وأعم من الصلاة وهو النسك، فإن النسك يشمل الدين كله، فقط، لا، بل وكل ما آتيه في حياتي، جميع ما آتيه في حياتي هو لله -عز وجل-، وجميع ما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح، فيلاحظ في هذه يا إخواني التدرج صعودا في العبودية لله -عز وجل-، ولهذا قال بعدها: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي بذلك الإخلاص أمرت وأنا أول المسلمين.

وفقكم الله وأعانكم.

{تكملة القاعدة: قال: كما يفيد ذلك اسم الجمع}.

فيه أيضًا فائدة لطيفة نريد أن نختم بها هذه القاعدة، وهي العبودية أو إضافة العبودية للنبي -صلى الله عليه وسلم-، الملاحظ في القرآن أن الله -سبحانه وتعالى- يضيف العبودية لنبيه -عليه الصلاة والسلام- في غير ما آية، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، يضيفه إليه سبحانه وبحمده، ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ [الأنفال: ٤١]، أضافه إليه بوصف العبودية، والآيات في هذا معروفة مشهورة.

وفي الحديث قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ».

فأشرف أوصافه -صلوات الله وسلامه عليه- إضافته إلى ربه -عز وجل- بوصف العبودية والرسالة.

ما وجه هذا التشريف يا إخوان؟ إضافته المصطفى صلوات الله وسلامه عليه إلى ربه بوصف العبودية؟

وجه هذا التشريف من القاعدة يا إخوان: المفرد المضاف ماذا؟ يعم، فلما أضيف المصطفى بوصف العبودية والوصف هنا مفرد، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ عبد مفرد، أضيف إلى الله -عز وجل-، أفاد ماذا؟ أفاد عموم

العبودية لله -عز وجل-، جميع العبودية لله -عز وجل-، فدل يا إخواني على عظم هذا الوصف للمصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

أن كل ما هو من معاني العبودية له صلوات الله وسلامه عليه مضافا إلى ربه -عز وجل-، ولهذا كان هذا الوصف أشرف أوصافه، وصف العبودية والرسالة له صلوات الله وسلامه عليه.

أسماء الأجناس، الجموع، اسم الجمع، عندنا يا إخوان الجمع، وعندنا اسم جمع، وعندنا اسم جنس جمعي، الجمع مثل الكتاب جمعه كتب، رجل جمعه رجال، إلى آخره.

اسم الجمع: هو الجمع لا واحد له من لفظه، مثل: إبل، نساء، قوم، رهط إلى آخره، هذا يقولون اسم جمع، وهذا أيضًا يفيد العموم.

اسم الجنس الجمعي هو الذي يفرق بينه وبين مفرده بالتاء، مثل: شجر شجرة، تمر تمرة وهكذا.

وعموما الجمع واسم الجمع واسم الجنس الجمعي يفيد العموم، إن أضيف أفاد العموم لا شك، وإذا لم يضف فإنه يستفاد منه العموم أيضًا.

وفقكم الله وأعانكم، وبارك فيكم.

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الثالثة: الألف واللام الداخلة على الأجناس والأوصاف تفيد الاستغراق.

القاعدة الرابعة: النكرة متى تكون للعموم؟ إذا جاءت في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، وإذا جاءت في سياق الإثبات تفيد الإطلاق.

مجيئها في سياق النفي، إما أن تكون نصًّا في العموم، أو تكون ظاهرًا، فمتى تكون نصا في إفادة العموم؟ إذا جُرت بمِن أو وقعت اسمًا للا النافية للجنس.

القاعدة الخامسة: المفرد المضاف.

القاعدة الأولى يا إخوان وهي مفتاح هذه القواعد حقيقة، خلاصتها: من يعطينا خلاصة لها وجيزة؟

قلتُ لكم: خلاصتها تتلخص في كلام أبي عبد الله السُّلَمي رحمه الله، تعلم القرآن لفظا، والعلم معنًى، والعمل تطبيقا.

من أراد جمْع الأمور الثلاثة، فله أن يَتَلَمَّسَ منهج السلف رحمهم الله تعالى.

{الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

القاعدة السادسة: **في طريقة القرآن في تقرير التوحيد ونفي ضده**}.

هذه القاعدة يتكلم فيها الشيخ رحمه الله عن طريقة القرآن في تقرير التوحيد، نعلم أن التوحيد اتفق عليه جميع الرسل، من لدن نوح إلى محمد عليه الصلاة والسلام، واختلف الأنبياء فيما بينهم في الشرائع والمناهج، كما قال عز وجل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وأما الأصل وهو التوحيد، فإنهم متفقون عليه جميعا.

ولهذا أرسل الله الرسل يدعون الناس إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وخلق الله الخلق أيضًا لعبادته وتوحيده، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «نَحْنُ الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، دِينُنَا وَاحِدٌ وَأُمَّهَاتُنَا شَتَّى».

والإخوة أولاد العَلات من هم يا إخوان؟ الإخوة لأب، فإنَّ الرجل يتزوج المرأة فيأتيه منها أولاد، ثم الثانية فيأتيه منها أولاد، فيكون نَهَلَ بالأولى وعَلَّ بالثانية، العرب يقولون إذا شرب في المرة الأولى: نَهَلَ، وإذا سُقي الزرع مرة ثانية يقولون: عَلَّ، فسُمي أولاده أولاد علات.

وجه تشبيه الأنبياء بأولاد العلات، أن دينهم التوحيد واحد، وبمثابة الأب للإخوة، وأما شرائعهم فكما ذكر الله عز وجل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

هذه دعوة جميع الأنبياء، ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥].

بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس وكانوا مشركين فمكث عشر سنين وهو يدعوهم إلى كلمة لا إله إلا الله، ويقول لهم: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، لم تشرع صلاة ولا صيام ولا زكاة، وإنما كان جهده الجهيد وعمله الدائم صلوات الله وسلامه عليه دعوتهم إلى التوحيد، ثم جاءت الشرائع بعد

ذلك تباعا، فشرعت الصلاة قبل الهجرة، ثم شرع الصيام، في السنة الثانية من الهجرة، ثم شرع الحج في السنة التاسعة من الهجرة، ومع ذلك بقي النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى التوحيد إلى آخر عمره، حتى قال قبل أن يموت بخمس: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

وقال في مرضه وقد ذكرت له أم سلمة وأم حبيبة كنيسة رأيناها في أرض الحبشة، قال: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ».

وحتى وهو في سياق الموت وفي سكراته، لم يذهله الموت أن يحذر أمته مما صنعت الأمم قبله، فقال كما تقول عائشة: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طَفِقَ يَطرح قميصة على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، إذا أصابه الغم بسببها كشفها، وقال وهو كذلك: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» تقول عائشة: يحذر ما صنعوا.

المقصود أنه استمر يدعو إلى التوحيد إلى آخر عمره، وهذا الذي يجب في كل دعوة، وعلى كل داعية أن يكون نصب عينيه دعوة الناس إلى توحيد

الله عز وجل، فإن الخلل إذا وصل إلى القلب بشرك فسدت جميع الأعمال، والعرب في جاهليتهم كان عندهم حج وعمرة وصيام وعتق ونذر حتى كان عندهم اعتكاف يا إخوة، ما الدليل؟

سؤال عمر النبي صلى الله عليه وسلم إني كنت نذرت أن اعتكف ليلة في الجاهلية في المسجد الحرام، اعتكاف الاعتكاف من أخص العبادات، ومع ذلك أتى الشرك على كل هذه الأعمال فأفسدها، ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولهذا أبدأ ربنا وأعاد في الدعوة إلى التوحيد في القرآن العظيم، فمرة بذكر توحيد الربوبية وأنه تعالى المتفرد بالخلق والملك والتدبير، ومرة بذكر توحيد الأسماء والصفات وأنه عز وجل له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ومرة بذكر الغاية من هاذين التوحيدين وهو توحيد الألوهية، وهو الأمر بعبادته سبحانه وبحمده، فإن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وهما توحيدان عظيمان فهما وسيلة إلى توحيد الألوهية، فمن

اعتقد أن الله هو الخالق المالك المدبر، لزمه أن يقر بوحدانيته، ومن اعتقد أن له الأسماء الحسنى والصفات العلى لزمه أيضًا أن يقر بوحدانيته.

ومن طرق الدعوة إلى التوحيد وتقريره في القرآن العظيم ذكر محاسنه ومزاياه، وذكر مساوئ الشرك ومفاسده، فإن الشيء إذا عُرف حُسنه وتبينت مزاياه، عرف الناس أنه حق، ورغب من يريد الخير فيه، وإن الشيء إذا عرف قبحه ومنافاته للفطر وللعقول السليمة، فإن القلوب السليمة تنفر منه وتبتعد عنه.

وأحيانا يقرر ربنا عز وجل التوحيد بذكر الثواب العظيم الذي أعده لأهله، فيحثهم ويرغبهم فيه ببيان ثمرته وعاقبته وهذا في القرآن كثير يا إخوة، وبيان الشرك وعاقبته وجزاء أهله، لهذا يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: إن كل آية في القرآن تتضمن التوحيد، وداعية إليه.

فإن التوحيد كما يقول إما خبر عن الله، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا التوحيد العلمي الخبري، توحيد الأسماء والصفات والربوبية، وإما أمر بعبادته سبحانه وبحمده وإفراده بالعبادة، وهذا التوحيد الطلبي الإرادي، وإما أمر بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وهذه حقوق التوحيد، وإما بيان

لثواب أهله وما أعد لهم من النعيم المقيم، وعقوبة من أخل به ووقع في الشرك، وهذا جزاؤه، فالقرآن كله يدور حول هذه الأمور الأربعة، فلا جرم إذن أن يكون التوحيد أمره عظيما، وشأنه عند الله سبحانه وتعالى كبير، ولهذا يتأكد على الإنسان أن يهتم به ويعتني به وينظر فيه، ويتفقد نفسه وينظر إلى تقصيره فيه، سواء في عمله أو في الدعوة إليه، فأمر اتفق عليه جميع الأنبياء، وأرسلت من أجله الرسل، وخلق من أجله الخلق، جدير والله بأن يهتم به المسلمون، ويعتنوا به أتم عناية، وألا يقال: إنه يفرق الناس، وبالتالي لا يدعى إليه، ولا قوة إلا بالله.

التوحيد الذي فيه صلاح القلوب، واستقامة القلوب، والذي هو مقتضى الفطرة يفرق الناس، لا والله، هذا الذي يجمع الناس، ويسلك بهم المسلك القويم، وينهج بهم الطريق المستقيم، كيف وهو طريق جميع الرسل، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

{قال رحمه الله تعالى:

القاعدة السابعة: في طريقة القرآن في تقرير نُبوَّة محمد صلى الله عليه وسلم}.

نعم هذه القاعدة أيضًا في طريقة القرآن في تقرير النبوة، الشيخ رحمه الله ذكر ثلاث قواعد هي في أصول اتفق عليها جميع الرسل، القاعدة الأولى في التوحيد، والثانية في إثبات رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، فإن الله سبحانه وتعالى ذكر رسالته صلوات الله وسلامه عليه وبين صحة ما جاء في مواضع عديدة، وبطرق مختلفة:

منها أنه صدق المرسلين، قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧]، لم يأت بشيء يخالف فيه الرسل.

ومنها أنها كتابه جاء مهيمنا على الكتب كلها، كما قال عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، فجاء مصدقا لما قبله من الكتب، ومهيمنا عليها جميعها، ومشتملا على محاسنها جميعها.

ومنها أن هذا النبي كان أميا، لا يقرأ ولا يكتب صلوات الله وسلامه عليه، ولم يفجأ الناس كما يقول الشيخ إلا وقد جاءهم بهذا الكتاب العظيم، الذي

أخرس البلغاء وأسكت الفصحاء، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

فلم يكن يقرأ ولم يكن يكتب صلوات الله وسلامه عليه، ثم جاء في هذا الكتاب العظيم، والملاحظ يا إخوان أن اللغة العربية إبان مبعثه عليه الصلاة والسلام كانت في أوج عزها، في زمن المعلقات، ثم يأتي هذا القرآن واللغة بهذه المثابة، ليخرس ويسكت كل من عارضه، ويتحداه، ويتحدى البشرية جميعا إلى يوم القيامة، أن يأتوا بعشر سور، لا، بل أن يأتوا حتى بسورة، أو بحديث مثله، وتبقى هذه الحجة يا إخوان حجة عظيمة على صدق ما جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم في كل زمان ومكان.

ولذلك يقول ربنا عز وجل: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١، ٢]، ثاني سورة بعد الفاتحة، يستفتحها ربنا ببيان هذا الكتاب وأنه لا شك فيه، وإذا لم يكن فيه شك ففيه تمام الصدق والحق واليقين، ثم يقول عز وجل بعد آيات: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، ما الآية التي بعدها يا إخوان؟ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن

تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤]، هذا التحدي إلى يوم القيامة، هذا التحدي يأتي به محمد بنفسه؟ لا يمكن أن يقوله بشر.

قد ذكر أن رجلا قسيسا أراد أن يقرأ القرآن وينظر علمه أن يجد عليه ملحظا أو عليه مدخل، يقول عن نفسه: قبل أن أقرأ القرآن كنت أتصور أن القرآن كله في سيرة محمد، وذهب وجاء، وعمل وكذا، فلما قرأت وجدت أن محمد لم يذكر إلا في آيات قليلة جدا، لعل ذكر بعض الأنبياء أكثر من ذكره، قال: ثم أخذ يقرأ -يقرأ التفسير يا إخوة حتى- فلما جاء على هذه الآية ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾، قال: هذا كلام لا يقوله بشر، منذ ألف وأربعمائة سنة والتحدي قائم وهو يقول هذا الكلام.

ثم ذكر جملة من الأدلة الدالة على عظمة هذا القرآن، ثم بدلا من أن يبحث عن مداخل ومآخذ على هذا القرآن، دخل في الإسلام يا إخوة، وهذا يدل على أن هذا القرآن أيضًا أعظم وسيلة في الدعوة إلى الله عز وجل كما سيأتي.

أيضًا من طرق إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام إخباره عن قصص سلفت وأمور مضت، ما عهدها ولا قرأها في كتاب، كإخباره عن قصص

الأنبياء كلهم، ولما أخبر عن قصة موسى، مذ ولد عليه الصلاة والسلام، ثم مرورا بالمراحل التي مر بها موسى عليه السلام قبل نبوته، وبعد نبوته، مما لعل أكثره غير موجود في كتبهم، وإن وجد فأكثره محرف مغير، ثم يقول ربه عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤]، ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦]، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ [آل عمران: ٤٤]، لم يكن عندهم ومع ذلك جاء بالقصص كما هي، أتقن وأوضح مما هو موجود في الكتب قبله، فمن يأتي بهذا غير نبي يأتيه الوحي من ربه سبحانه وبحمده.

أيضًا أحيانا إثبات رسالته صلى الله عليه وسلم بإخباره عن أخبار ماضية وعن أمور تقع في مستقبل الزمان، وعن آيات كثيرة أظهرها الله سبحانه وتعالى على يديه، وعما حباه الله عز وجل من الصفات العظيمة، وعن حبه الخير، وحرصه على الناس غاية الحرص، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وهذه الأوصاف لا تكون فيمن يدعي هذا الأمر، وقد ادعى أناس النبوة فما حالهم وما أوصافهم، وما مصيرهم ومآلهم الذي انتهوا إليه؟!

وأعظم دليل على رسالته، وشاهد على صدقه في نبوته: هذا القرآن الذي يتلى بين أيدينا، فما يزال يا إخواني شاهدا على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، وحتى قومه الذين كانوا يكذبونه، وكانوا يعادونه، وآذوه، وهموا بإخراجه حتى خرج من بين أظهرهم وهم لا يشعرون، كانوا مقرين في قرارة نفوسهم أنه محق في دعوته، وصادق في رسالته، تعطوني دليل يا إخوان؟

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، فعلينا يا إخوان أن نرجع إلى هذا القرآن العظيم، ونتأمله، وندعو به وندعو إليه فهو حجتنا العظيمة أمام الناس جميعا.

{قال رحمه الله تعالى:

القاعدة الثامنة: طريقة القرآن في تقرير المعاد}.

نعم، هذا هو الأصل الثالث الذي اتفقت عليه جميع الرسل، التوحيد، ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم طريقة القرآن في تقرير المعاد وإثباته.

نعلم يا إخوان أن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة، طبعا لم يؤمن به اختل عنده ركن من أركان الإيمان، وبالتالي لا يكون مؤمنا.

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان بعض العرب ينكرون البعث لا سيما قريش، وبعضهم يقر به، وكما ذكر آنفا دين إبراهيم أبيهم كان موجودا عندهم، لكن أدخلوا عليه الشرك، فأفسد قلوبهم وأفسد أعمالهم، وإلا بقيت عندهم بقايا، فزهير على سبيل المثال يقول:

وَلَا تَكْتُمَنَّ اللهَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ لِيَخْفَى ** فَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُؤَاخِذْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ ** لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

زهير بن أبي سُلمى صاحب المعلقة، وهذا في معلقته، يقر بالحساب ويثبت العلم لله عز وجل، وعنترة المعروف بشجاعته وإقدامه يقول:

يَا عَبْلَةُ! أَيْنَ مِنَ الْمَنِيَّةِ مَهْرَبٌ؟ ** إِنْ كَانَ رَبِّي فِي السَّمَاءِ قَضَاهَا

الله أكبر يا إخوان، يعرف أن ربه حتى، كثير من المنتسبين للإسلام لا يدري أين ربه، كان ربي في السماء فيقول: قضاها، يقر بالقضاء، وكل هذا مما ورثوه عن أبيهم إبراهيم، لكن هذا لا يغني شيئا مع الشرك بالله عز وجل.

تقرير المعاد في القرآن الكريم بطرق كثيرة، منها أن الله تعالى أقسم بيوم القيامة، ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١]، والقسم بالشيء يدل على توكيده وتعظيمه وبيان أهميته، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ﴾ [البروج: ١، ٢]، هذا قسم ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾.

وأقسم الله عليه، هنا أقسم به، أقسم الله عليه في آيات كثيرة، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مريم: ٦٨]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧]، وأمر نبيه أن يقسم عليه في ثلاث آيات، ولعل هذا مراد الشيخ قدس الله روحه، الشيخ يقول: أقسم الله به في ثلاث آيات، لعل مراده أن الله أمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقسم على البعث في ثلاث آيات لا رابع لهن، تعطينها يا إخوان؟

﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]، الثانية: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، الثالثة:

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا﴾ آية سبأ ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي﴾ [سبأ: ٣]، ثلاث آيات أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقسم فيها.

أيضًا تقرير البعث وإثباته يكون بأدلة يا إخوان، عطونا يا إخوان ترى مشهورة؟ منها: نعم الاستدلال بالمبدأ على المعاد، كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]، وهذا في آيات كثيرة.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَن عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

الثاني: إحياء الأرض بعد موتها، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [فصلت: ٣٩]، وذلك أنك تأتي الأرض الأيام هذه أيام ربيع ما شاء الله، أسأل الله أن يغيث القلوب والبلاد والعباد، تجري الفياض في فصل الصيف تجدها مجدبة، لا أثر لنبات فيها، فيأتيها المطر ثم تنبت بأنواع من الأشجار، وأنواع من النباتات والزهور، هي نفس النباتات التي كانت نبتت العام الماضي والذي قبله وقبله وقبله، وتجد أن الفيضة هذه معروفة بهذا النبات،

وهذه الفيضة معروفة .. لماذا يا إخوان؟ لماذا ينبت هذا النبات نفسه بهذا المكان؟

بذوره أحسنت، لأنه لما جف ونشف تناثرت بذوره، أنت أتيت في الصيف ما ترى البذور، البذور مع التراب لا ترى، بذور صغيرة جدا، فيأتيها المطر فتنبت البذور، ومن البذرة تنبت شجرة غير الشجرة التي نبتت العام الماضي، أبدا، هي الشجرة ذاتها، شكلها ولونها، فالذي أنبت هذه الشجرة ألا يحيي الموتى، بل وربي.

ومن الأدلة أيضًا .. أي نعم هذه من الأدلة أيضًا الاستدلال بخلق الشيء الكبير العظيم على خلق ما هو أهون، كقوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، في هذه الآية دليلان يا إخوة، ما هما الدليلان؟

الدليل الأول: أن الذي خلق السموات والأرض وخلق هذه المخلوقات العظيمة الكبيرة قادر على أن يعيد الخلق ثانية، وشأن الخلق أهون منها، ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

والدليل الثاني: ﴿بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وإذا كان على كل شيء قدير فهل يعجزه أن يعيد الخلق مرة ثانية وهو الذي خلقه.

منها أيضًا من الأدلة الدالة على البعث: أن البعث هو مقتضى حكمته سبحانه وبحمده، فما كان ليخلق الخلق عبثا، وما كان ليتركهم سدا، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ﴾ [القيامة: ٣٦- ٤٠]، أليس من حكمته أن يخلق خلقا ثم يتركهم لا يحاسبهم ولا يجازيهم، ولا يثيب المحسن على إحسانه، ولا يجازي المسيء على إساءته، فمن حكمته أن يبعثهم سبحانه وبحمده، ويجازي كلا بعمله.

من الأدلة أيضًا: إحياء الموتى في الدنيا، كما حصل في قصة البقرة، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٧٣]، فأحيا الله هذا الميت ورآه الناس عيانا، ومن قصة الألوف من بني إسرائيل، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ

أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ومن القصص صاحب القرية، ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ومنها قصة الطير مع إبراهيم عليه السلام، ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠] الآية.

ومنها ما أجراه الله على يد عيسى عليه السلام ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، فكل هذه شواهد على قدرته سبحانه وتعالى على إحياء الموتى.

أبدأ ربنا وأعاد يا إخوان في الحديث عن المعاد في القرآن وأقسم عليه في مواضع، وفي السور المكية قد يكون ذكره أكثر، لماذا؟ أولا: لشدة إنكاره من المشركين، ولماذا ينكره المشركون؟ لماذا يحرص الكافر على إنكار البعث؟ يريد أن يعيش عابثا لاهيا فاجرا، لا يحاسبه أحد، ولا يسأله أحد، ولهذا من فوائد الإيمان بالبعث محاسبة النفس، الإنسان يحاسب نفسه، إذا كان يعلم أنه سوف يحاسب عن مثاقيل الذر يراجع نفسه، ولهذا يقول ربنا عز وجل: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ

الْإِنسَانُ﴾ [القيامة: ١ - ٥] ماذا؟ ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾، يفجر فيما يستقبل من عمره، ينكر البعث ليفجر أمامه، ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٦].

فالإيمان بيوم القيامة يا إخوان أمره كبير وعظيم، ولهذا يحصل حتى بالمسلم الذي يؤمن بيوم القيامة أن يكون لهذا الإيمان أثر عليه، إذا علم أنه سوف يسأل ويحاسب ويبعث، واستشعر القيامة ومشاهدها وأهوالها وأمورها، حين هذا يحرك كوامن نفسه، وينشط قلبه في الاجتهاد في العمل الصالح.

يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يخاطب الناس، يقول: إن كنتم مصدقين فأنتم حمقى، وإن كنتم مكذبين فأنتم هلكى، إن كنتم مصدقين بماذا يا إخوان؟ بالبعث، فأنتم حمقى، لماذا كانوا حمقى؟ بسبب التقصير في الأعمال، وإن كنتم مكذبين، والمسلم ولله الحمد مصدق، فينبغي للإنسان يا إخوان أن يستشعر هذا الأمر، ويتذكر بين وقت وآخر حتى يزول ما يعتري النفوس يا إخوان من فتور ومن كسل وكل السلف الصالح رحمهم الله، إذا كان أطبقت عليه الظلمة تذكروا بالظلمة ظلمة القبر، وإذا التحف بلحافه تذكر بلحافه كفنه الذي سيدرج فيه، ويلف فيه، ويوضع في

قبره وحيدا لا أحدا يؤانسه، ولا عمل يعمله، وإنما عمله الذي عمله في حياته قدم عليه، إن كان خيرا كان على خير، وإن كان ضده فلا حول ولا قوة إلا بالله.

{قال رحمه الله تعالى:

القاعدة التاسعة: في طريقة القرآن في أمر المؤمنين وخطابهم بالأحكام الشرعية}.

في طريقة القرآن في أمر المؤمنين وخطابهم، في دعوة المؤمنين وحثهم وترغيبهم في الخير، ترى يا إخوان ما نذكره مسائل يسيرة مما في الكتاب، ولكن يا إخوان ارجعوا للكتاب واقرأوه جزاكم الله خير، الكتاب نفيس، وفيه فوائد والله يا إخوان عظيمة وفيه تمرين وتدريب على تطبيق هذه القواعد في القرآن.

طريقة القرآن في أمر المؤمنين من أبرز ما جاء في كتاب الله عز وجل من دعوته عز وجل لعباده المؤمنين دعوتهم بهذا الوصف العظيم وهو وصف الإيمان، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ذكرت في القرآن في كم موضع يا إخوان؟

{٨٩}

نعم، أحسنت، ٨٩ موضع يا إخوان ذكر فيها نداء المؤمنين بيا أيها الذين آمنوا، ولهذا قال ابن مسعود لرجل وقد سأله، قال: اعهد إلي يا أبا عبد الرحمن، قال: إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فارعها سمعك، فإما خير تؤمر به وإما شر تنهى عنه.

وأخي المسلم عندما تسمع قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فاستشعر أمورا، منها: من هو المنادى؟ أنت أيها المؤمن، طيب ما المنادى به؟ وصف الإيمان، ما المنادى إليه؟ ما يذكر بعدها من أمر أو نهي.

من المنادِي يا إخوان؟ رب العالمين سبحانه وبحمده، الواحد يا إخوان لو يناديه إنسان ذو مكانة مديره في العمل، أو أحد والديه، أو كذا، فإن تلبيته للنداء لا شك غير تلبيته لو كان المنادي أقل، فكيف إذا كان المنادي ربك سبحانه وبحمده، ولذلك قال ابن مسعود: فارعها سمعك.

لهذا كان للنداء بوصف الإيمان معاني يا إخوان، يعني إذا أطلنا الكلام بعض الشيء، نعدها ستة معاني.

الأول: أن في النداء بوصف الإيمان تشريف، تشريفا للإيمان أولا، حيث نادى الله سبحانه وتعالى به أصفياءه من خلقه وأولياءه.

الثاني: أن فيه تشريفا، تشريفا لمن؟ للمؤمن نفسه، ربنا ينادي في القرآن بأساليب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ ثم ينادي فئة من عباده فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فنداءهم بهذا الوصف الشريف لا شك تشريف لهم.

ثم أيضًا إن من المعاني أن مقتضى الإيمان أو من مقتضى الإيمان ولوازمه وشروطه العمل بما يأتي بعدها، يعني إذ كنت مؤمن فمقتضى الإيمان أن تطيع الله عز وجل، أن تمتثل ما يأتي بعدها، إن كان أمر بامتثال وإن كان نهي باجتنابه.

الرابع: أن ما بعدها داخل في مسمى الإيمان، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ وأطيعوا الله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]، الآيات كثيرة.

أيضًا أن فيها أمرا بتكميل الإيمان، فإن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة، ويما يكون بعدها من أوامر تمتثلها أو نواهي تنزجر عنها، كل هذا مكمل لإيمانك.

وأخيرا أن فيه ذكرا لنعمة عظمى، ومنة كبرى من منن الله عليك، هذه النعمة أنه هداك للإيمان، وإذ هداك للإيمان ومن عليك بهذه النعمة العظيمة،

فالواجب عليك شكره على هذه النعمة، ومن شكره امتثال أمره واجتناب نهيه، أي ما يذكر بعدها.

فهذه معاني يا إخوان كلها تدور حول هذه الكلمة التي نادى الله تعالى بها عباده في آيات كثيرة.

أيضًا من طرق أمر المؤمنين ودعوتهم تذكيرهم بنعم الله سبحانه وتعالى عليهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١]، فتذكيرهم بالنعمة حث لهم على شكر المنعم بها، وشكره بالتزام شرعه، وامتثال أمره، واجتناب نهيه.

منها أيضًا الترغيب والترهيب، ترغيب المؤمنين بالعمل الصالح، وترهيبهم من ضده.

منها حثهم على اللجأ إليه والفرار إليه سبحانه وبحمده، واتخاذه تعالى وليا، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وقال: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فحثهم على أن يقبلوا عليه عز وجل، ويفروا إليه، ويلجئوا إلى حماه، ويعتصموا بحبله المتين سبحانه وبحمده.

ومنها ذكر ما أعد لهم من النعيم المقيم، وذكر مآثر الإيمان ومزاياها وفوائده وعوائده وهذه لعلها تأتي في قاعدة أخرى.

ومنها نهيهم عن التشبه بغيرهم، ذلك التشبه الذي يضعف إيمانهم، كما قال عز وجل: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، بعدها قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، فيحذرهم من التشبه بغيرهم، فإن «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم.

كل هذه طرق وأمور وردت في كتاب الله سبحانه وتعالى في ترغيب المؤمنين بالإيمان، وحثهم على طاعة الرحمن سبحانه وبحمده.

{قال رحمه الله:

القاعدة العاشرة: في الطرق التي في القرآن لدعوة الكفار على اختلاف مِللهم}.

في طرق دعوة الكفار، بعدما ذكر دعوة المؤمنين، طرق في دعوة الكفار، فإن الله أرسل الرسل إلى قوم مخالفين، يدعونهم إلى دين الله عز وجل، وورد في القرآن يا إخواني وسائل وطرق لدعوة هؤلاء الكفار، ولكن الملفت أن الله تعالى أكثر من دعوة المؤمنين بوصف الإيمان، ولم يدع الكفار بوصف الكفر إلا آية واحدة فقط، ما هي هذه الآية؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ..﴾ [التحريم: ٧]، وهذا دعاء تبكيت وتوبيخ، وهذا في يوم القيامة فقط، أما يف الدنيا فلم يدعهم بهذا الوصف، لماذا لم يدعهم بهذا الوصف؟ لأن هذا الوصف يا إخوان هذا وصف ولا قوة إلا بالله لا قيمة له ولا اعتبار، ووصف رديء، وأهله لا يستحقون أن ينادوا أصلا فكيف ينادون بهذا الوصف الرديء، وأيضًا يذكر بعض أهل العلم أن النداء بوصف الكفر قد لا يكون ملائما للدعوة إلى الله عز وجل، فإن الدعوة إلى الله عز وجل ينبغي أن تكون بماذا؟ أن تكون بالحكمة وبشيء من التلطف، لو أنك رأيت سارقا وأردت أن تنصحه، تقول تعالى أيها السارق، هل يناسب هذا، ما يناسب، لا يناسب، ولو أنه في حقيقة الأمر هو سارق على كل حال،

لكن ما دمت تريد أن تدعوه إلى الله عز وجل وترغبه في الخير، ربما تستخدم ألفاظ وعبارات علها أن تكون مؤثرة عليه أكثر، قيل بهذا المعنى، والله أعلم.

المقصود أن دعوة الكفار لها طرق ووسائل في كتاب الله عز وجل، ومن أبرزها ذكر محاسن هذا الدين ومزاياه، وفضائله، ولو عرف الكفار يا إخوان محاسن هذا الدين لأقبلوا عليه، ولكن كيف يعرفونه، وأكبر وسيلة لمعرفتها تمسك أهلها بدينهم، وإظهارهم هذه المحاسن لهم، فإذا رأوا من المسلمين التزامهم بدينهم وتمسكهم بشرعهم فإنهم سيقبلون على دين الله أفواجا.

ورد في التاريخ قصة أن قائدا من قواد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه صالح على حصن من الحصون، على أن يفتحوا له الحصن ويترك لهم أموالهم وحصنهم، فوافقوا وفتحوا الحصن، ثم إنه اقتحمهم عليهم، فجاءوا إلى عمر شكوا إليه، فأرسل إليه عمر أن اخرج من حصنهم واتركه لهم، فلما رأوا ذلك من عمر بن عبد العزيز دخلوا في الإسلام جميعا، هذه محاسن هذا الدين يا إخوان.

ونحن بحاجة إلى أن ندعو الكفار بذكر أو بإظهار محاسن هذا الدين في التعامل وفي العلاقة، وفق منهج الشرع، دون إخلال يا إخوان بمنهج الشرع ومقاصده.

من وسائل الدعوة، دعوة الكفار أيضًا الترغيب والترهيب والتخويف أيضًا من عقوبة الله عز وجل، وذكر أحوال الأمم السالفة السابقة، وماذا حصل لهم، وماذا جرى عليهم بسبب كفرهم.

ومن وسائل دعوتهم واليوم يا إخوان وجدت وسائل للدعوة عظيمة، لو وظفها المسلمون لأوصلوا الإسلام لكل صقع، ومن أعظم وسائل الدعوة بهذا القرآن العظيم يا إخوان، فإنه أعظم وسيلة في الدعوة إلى الله عز وجل، وكم من رجل سمع آية من كتاب الله، إن كان مسلما أثرت فيه وأدت إلى استقامته بعد أن كان تائها هائما على وجهه، وإن كان كافرا دخل في الإسلام، آية واحدة يا إخوان.

بعض مشايخنا رحمهم الله في إحدى البلاد كان رجل ذو مكانة عند قومه في دينه، كان يتردد من بلد إلى بلد، ويسافر، قال فذات يوم جاء من سفر من خارج بلده، وركب مع صاحب سيارة أجرة، فسمع القارئ يقرأ أعوذ بالله

من الشيطان، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١، ٢]، فاستوقفته الآية، وقال هؤلاء الجن يسمعون القرآن فيعجبون له ويؤمنون به، ونحن نسمعه ولا نهتدي، فكان سماعه لهذه الآية سببا لهدايته.

المقصود أننا بحاجة يا إخوان إلى الدعوة إلى الله عز وجل، وآفاقها اليوم ولله الحمد واسعة، الإنسان في بيته يستطيع أن يدعو إلى الله في مشارق الأرض ومغاربها.

والناس اليوم يا إخوان بحاجة إلى ما يريح قلوبهم، بحاجة إلى ما يدخل السعادة إلى نفوسهم، جربوا كل شيء بحثا عن طمأنينة وراحة يجدونها في هذه الدنيا، فلم يجدوها في المال، ولم يجدوها فيما وصلوا إليه من وسائل التطور، وهم يبحثون عنها في كل اتجاه، وهي والله هنا في هذا الدين الحنيف، وفي هذا القرآن العظيم.

{قال رحمه الله:

القاعدة الحادية عشرة: كما أن المفسر للقرآن يراعي ما دلت عليه ألفاظه مطابقة، وما دخل في ضمنها، فعليه أن يراعي لوازم تلك المعاني، وما تستدعيه من المعاني التي لم يصرح اللفظ بذكرها}.

المؤلف هنا يتحدث عن أنواع الدلالة الثلاث: دلالة اللفظ، ودلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة اللزوم.

دلالة المطابقة: دلالة اللفظ على كامل معناه.

دلالة التضمن: دلالته على جزء المعنى، بعض المعنى.

ودلالة اللزوم: دلالته على لزوم المعنى.

الشيخ يتحدث عن النوع الثالث، وهو الذي يعطي طالب العلم في التفسير بعدا في التفسير، وثراء في المعاني، وهذه الطريقة استخدمها الشيخ كثيرا لمن يقرأ تفسيره.

دلالة المطابقة: مثل لو أخذنا لو طبقناها على أسماء الله الحسنى، اسم الله مثلا الخالق، يدل على ذات الرب عز وجل وعلى صفة الخلق مطابقة، ويدل على الخلق فقط أو يدل على ذات الرب عز وجل فقط تضمنا، ويدل

على أن الخالق حي قدير عالم دلالة لزوم، يلزم من كونه خالقا أن يكون عالما، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، يلزم أن يكون حيا قادرا سميعا بصيرا، وما أشبه ذلك.

مثل المؤلف هنا بأمثلة منها اسم الرحمن، الرحيم، فاسم الرحمن يدل على الرحمة ويدل على اسم الرب تضمنا، يدل على صفة الرحمة أو ذات الرب.. الأول مطابقة: يدل على ذاته عز وجل، أو صفة الرحمة فقط تضمنا، ويدل على أن الرحمن الرحيم أيضًا له صفة الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والمشيئة، وما أشبه ذلك دلالة لزوم.

من الأمثلة التي ذكرها المؤلف نأخذ نماذج فقط يا إخوان، منها قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ما حكم أداء الأمانة إلى أهلها؟ واجب، وهذه دلالة مطابقة، يلزم من ذلك حفظها، وعدم التعدي فيها، أو التفريط فيها، أو إضاعتها، أو التهاون أو التساهل، ونوع هذه الدلالة ما هي؟ دلالة لزوم، يعني لزم من أدائها إلى أهلها حفظها إذ لو لم تحفظها لم تستطع أن تؤديها إلى أهلها.

كذلك قوله: ﴿بِالْعَدْلِ﴾ يلزم من العدل العلم، يكون عالم، إذا لم يكن عالما أو لم يكن لديه علم بالقضية التي يحكم فيها، فكيف يكون عادلا، طيب الآية تدل على العدل فقط، لكنها أيضًا تدل على العلم.

ومثل قوله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، هنا أشهد الله تعالى نفسه وملائكته وأولي العلم على وحدانيته سبحانه وبحمده، وشهادة العلماء على الوحدانية شهادة دلالتها مطابقة، لكن في ضمنها تزكية للعلماء، ما وجه هذه التزكية؟ تزكية وتعديل لهم إذ لا تقبل الشهادة إلا من عدل، ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، كيف فهمت هذه التزكية والتعديل من الآية؟ الآية ما فيها ذكر، بدلالة ماذا يا إخوان؟ بدلالة اللزوم.

وفيها أيضًا فائدة لطيفة وهي أن الشهادة لا بد أن تكون عن علم، لا يشهد الإنسان بالشيء إلا إذا كان عالما به، ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، فما لم تكن عالما بالشيء لا تشهد، وقد روي في حديث «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ» وأشار إلى الشمس.

فيه دليل أيضًا هنا يا إخوان على اشتراط العلم في الشهادة، فما وجه الدلالة؟

كونه تعالى أشهدهم وقبل شهادتهم وزكاهم وعدلهم ووصفهم بماذا؟ بأولي العلم، وإذ كانوا من أولي العلم فهم لا يشهدون إلا بما علموه، فدل على اشتراط العلم في الشهادة، والآية لا تدل على هذا مطابقة، لكن يلزم من وصفهم بالعلم أن يكونوا قد شهدوا على ماذا يا إخوان؟ على علم وبصيرة، وهلم جرا الشيخ يقول من جرب هذه الطريقة يجد طريقة نافعة في التفسير، أن الإنسان لا يكتفي مجرد تحليل اللفظ وبيان معناه فقط وكذا، لكنه يتوسع في ذكر ما توقف على هذا اللفظ وما ترتب عليه ونشأ عليه من لوازم كثيرة.

{القاعدة الثانية عشرة:

الآيات القرآنية التي ظاهرها التضاد يجب حمل كل نوع على منها على حال بحسب بما يليق ويناسب المقام}.

هذه القاعدة يا إخوان مبحث كبير وعظيم وألفت فيه كتب، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي قدس الله روحه له كتاب في هذا الشأن دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، والشيخ أورد جملة من الآيات التي يظهر

لقصار النظر منها التعارض، الشيخ قال قصار النظر، لأنه لا تعارض في كتاب الله عز وجل بحال من الأحوال، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فليس في القرآن اختلاف كثير ولا قليل، وليس فيه اختلاف بين آيتين بحال من الأحوال إذ هو من عند الله عز وجل، لكن كيف يزول هذا الاختلاف، نذكر أولا بعض الأمثلة، ذكر جملة من الأمثلة الحقيقة.

منها ما ورد في النصوص أن الكفار يوم القيامة لا ينطقون، ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥]، وورد في آيات أخرى أنهم يتكلمون ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

وما ورد أيضًا أنهم يحشرون يوم القيامة عميا وبكما وصما ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥]، ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

وقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۞ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۞ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۞ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ۞ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ..﴾ [النازعات: ٤٢- ٤٦]، وقال عنهم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥، وقال: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۞ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٣، ١٠٤].

لماذا هم يقسمون أنهم ما لبثوا إلا ساعة، وإلا عشية أو ضحاها، لماذا ما غرضهم بذلك؟ غرضهم بذلك أن المدة التي مكثوها في الدنيا على زعمهم كانت مدة قصيرة، فهم يريدون أن يرجعوا إلى الدنيا مرة ثانية ليتوبوا وينيبوا، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، لكن كيف يجمع بين هذه الآيات؟

الجمع بينها واضح يا إخوان وبين، هناك طريقتان للجمع ومؤداها واحد، الطريقة الأولى أن يقال إن القيامة مواقف، والناس فيها طوائف، يوم مقداره خمسون ألف سنة، اللهم سلم سلم، الناس طوائف وفئات، ولهذا اختلفوا كما في آي طه: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ وأمثلهم طريقة يقول: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾.

والقيامة مواقف أيضًا، مواقف عظيمة ومهولة، ففي مواقف يكذبون ويحلفون وينطقون، وفي مواقف يختم على أفواههم فلا يتكلمون ولا ينطقون.

إيضاح هذا الجواب بطريقة أخرى ذكرها أحد علماء اللغة البارزين الفراء رحمه الله قال: إنهم إذا بعثوا فلما بين قبورهم إلى حسابهم يتكلمون ويحلفون حتى كذبا، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

حتى إذا ختم على أفواههم وشهدت عليهم أعضاؤهم وجوارحهم وحوسبوا حينها لا يتكلمون ولا ينطقون ويحشرون إلى النار عما وبكما وصما، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

في الآيات ما يدل على أنه تعالى لا يكلمهم، كما في قوله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]، وفي آيات ما يدل على أنه يكلمهم ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، والجمع بينهما بالنسبة للتكليم أنه تعالى لا يكلمهم كلام ماذا يا

إخوان؟ كلام يسرهم، يدخل السعادة إلى نفوسهم، وإذ كلمهم فإنما يكلمهم كلاما فيه التبكيت والتقريع والتوبيخ لهم، وكذلك كونه لا ينظر إليهم وهو تعالى لا تخفى عليه خافية من خلقه، لا ينظر إليهم أيضًا نظر رأفة ورحمة سبحانه وبحمده.

أيضًا من الآيات التي يظهر فيها لقصار النظر الاختلاف قوله عز وجل: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ ولَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، وقوله عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، فكيف يجمع بينهما يا إخوان؟ السؤال المنفي ﴿لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ﴾ سؤال ماذا؟ سؤال استعلام، كونه تعالى يسألهم يطلب منهم أن يخبروه بما لا يعلمه حاشا، وأما سؤاله لهم فسؤال محاسبة وتوبيخ وتقريع لهم.

منها ما ورد أيضًا من أنهم في يوم القيامة لا أنساب تنفعهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وورد في الآيات ذكر النسب، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: ٣٤، ٣٥]، فالمراد بالنسب المثبت بيان واقع الأمر والحال، هذا أبوه هذا أخوه، وأما النسب المنفي فهو نفي أن ينتفع بعضهم ببعض بسبب أنسابهم، وما بطأ

بـه عملـه لـم يسـرع بـه نسـبه، وإن كـان ربنـا عـز وجـل يرفـع درجـات أولاد المؤمنين إلى آبائهم، كما في قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]، هل ألحقهم بآبائهم نسبا؟ لا، وإنما ألحقهم بآبائهم أولا فضلا منه وتكرما، والأمر الثاني لأنهم شاركوهم في أصل الإيمان ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾، ولهذا لم أنت تلحق بهم ذريتهم الكافرة الفاجرة، حيث يشاركوهم في الإيمان.

من هذه الآيات، آيات وردت فيها إثبات الشفاعة، وآيات ورد فيها ما فيه شفاعة، ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ولهذا اتخذ أهل الأهواء من هذه الآيات شبهة لهم في نفي الشفاعة وخلود العصاة، عصاة الموحدين في النار، الخوارج والمعتزلة عندهم مرتكب الكبيرة خالد مخلد في النار، وطردوا مذهبهم هذا نفي الشفاعة، واستدلوا بهذه الآيات، لكن أين هم من مثل قوله عز وجل: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي

السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

والجمع بينهما واضح كالشمس ولله الحمد، أن الشفاعات المنفية هي شفاعة مطلقة، والمثبتة مقيدة بماذا؟ بالإذن والرضا، فحيث جاء الإذن من الرب العظيم ورضي عن الشافع والمشفوع له حصلت الشفاعة، وحيث لم يحصل الشرطان لا تنفعهم شفاعة الشافعين، وبالتالي لا إشكال بين الآيات.

ومنها أيضًا ما ورد أن خلق الأرض أولا ثم بعد ذلك خلق الله تعالى السماوات، كما قال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، ونظير هذه الآية آية فصلت، لكن في آية النازعات قال عز وجل: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ [النازعات: ٢٧- ٣٠]] بعد السماء ﴿دَحَاهَا﴾، فكيف نجمع بينهما، أجاب الحبر رضي الله عنه وأرضاه ابن عباس سائلا سأله، وهذا النوع يا إخوان نعتني به، لأنه أولا قد يتخذه

المبطلون وسيلة للطعن في هذا القرآن، ويتخذه الزائغون أيضًا وسيلة إلى الاستدلال بمثل هذه الآيات على أهوائهم وآرائهم، فكيف نجمع بينهما؟

قال لا تعارض، خلق الله تعالى الأرض، ثم خلق السماء، ثم بعد ذلك دحى الأرض، فدحو الأرض كان بعد خلق السماء.

أيضًا ما ورد أنه لا يهدي القوم الظالمين والفاسقين والكافرين، وما ورد أنه يهديهم، وكم منهم من يهتدي، فيقال ما نص سبحانه وتعالى على أنهم لا يهتدون وأنه لا يهديهم هو من حقت عليهم كلمة العذاب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٧، ٩٨]، وأما من يهتدي بعد كفره فهو من لم تحق عليه كلمة العذاب.

الحمد لله القرآن واضح وجلي وبين يا إخوان، لكننا بحاجة يا إخوان إلى معرفة طرق الجمع بين الأدلة، وإزالة التعارض الذي يقدح في ذهن القاصر وليس في كتاب الله تعارض، يكون أحيانا بمعرفة الأحوال أو بالأشخاص، أو يكون بالأزمنة، أو يكون بالأمكنة، بهذه الأمور الأربعة: اختلاف الأحوال في حال ينطقون وحال لا ينطقون، اختلاف الأشخاص: لبثتم إلا عشرا، ولبثتم

إلا يوما، اختلاف الأزمنة: والأرض بعد ذلك دحاها، واختلاف الأمكنة وهكذا.

لكن ما سبب هذا التعارض الذي يقدح في أذهان بعض الناس؟ له سبب من أربعة أسباب: إما التقصير في العلم، التقصير في العلم كون لا يد له في العلم، بمجرد أن يلوح عنده اختلاف بين آيتين يقول هذا اختلاف، لكن إذا بين له الأمر يرجع.

الثاني: القصور في الفهم، كونه ضعيف الفهم، يحدث عنده إشكال واختلاف، وإن لم يكن إشكال أحيانا.

الثالث: قلة التدبر، كونه لا يتدبر، فلو تدبر كلام الله ونظر وتأمل وتفكر فيه ما كان ليحصل عنده مثل هذا الاختلاف.

الرابع: سوء القصد، وهذا يحصل من الزائغين، كما قال عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، وفقكم الله يا إخوان وبارك فيكم، ورزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعدُ:

ففي الدرس الماضي كنا مررنا على اثنتي عشرة قاعدة مما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى، قبل أن نبدأ بموضوع اليوم أحب أن أسأل أسئلة سريعة حول ما أُخذ بالأمس.

في القاعدة الأولى ذكر الشيخ المنهج، والمنهج الذي يتأكد أن يكون عليه المسلم في قراءة كتاب الله عز وجل، وهذا المنهج ذكره أبو عبد الرحمن السلمي، كلام أبي عبد الرحمن رحمه الله نقلا عن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، كلام واضح بين جلي وجيز، ويتمثل في ثلاث نقاط، ما هي يا إخوان؟

الشيخ فهد يقول فيه جوائز للإخوان الذين يجيبون إذا أجاب يعطى كتاب.. ما أحلى الجائزة يا إخوان عندما تكون حافز لطالب العلم، وهي

على كل حال ليست غاية، ولكنها وسيلة لشحذ همته، وتنشيطه في الطلب والتحصيل والمشاركة، ودائما يا إخوان الدروس ينبغي أن تكون مشتركة، أولا دفعا للملل، الطالب إذا كان يسمع دائما يمل مع طول الوقت، الشيء الثاني: حتى تكون الفائدة مشتركة، وقد يكون لدى الطالب بعض الفوائد بعض المسائل التي يفيد بها إخوانه عندما يطرحها.

نعم يا إخوان يتمثل في ثلاث نقاط ما هي؟

السؤال مرة ثانية طريقة الصحابة رضي الله عنهم في قراءة القرآن والتي رواها أبو عبد الرحمن السلمي عن الصحابة الذين أخذ عنهم القرآن، تتمثل في ثلاث نقاط ما هي يا إخوان؟

{..... .....}

قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.

السؤال الثاني: ذكر الشيخ في القاعدة الأولى أن العبرة في اللفظ في الآية هل هو في عمومها أم في خصوص سببها، مع التمثيل؟

{..... .....}

المثال

{..... .....}

أي نعم، سبب نزول سورة المجادلة، وظِهار أوس بن الصامت من زوجته. أحسنت.

ما الفرق بين مجيء النكرة في سياق النفي ومجيئها في سياق الإثبات، مع التمثيل أيضًا؟

{..... .....}

نعم، أحسنت، متى تكون النكرة للعموم؟

{..... .....}

جميل أحسنت.

في مجيء النكرة في سياق النفي قد تكون نصا في إفادة العموم، وقد تكون ظاهرة، أولا ما الفرق بين النص والظاهر، النص والظاهر من دلالات الألفاظ يا إخوان.

{..... .....}

جميل، سؤال آخر: متى تكون النكرة نص في إفادة العموم وتكون ظاهرة، سؤال ثاني يا إخوان؟

{..... .....}

إذا جرت بمن تكون ماذا؟ تكون نصا، وأيضًا فيه مسألة ثانية إذا وقعت اسما للا النافية للجنس، وما عدا ذلك من الصيغ صيغ العموم فإنها تكون ظاهرة في إفادة العموم، بمعنى أن الخصوص وارد لكنه ضعيف، وظاهره فيها العموم.

أيضًا من صيغ العموم وهي القاعدة التي ذكرها الشيخ.

{..... .....}

نعم.. ماذا؟

{..... .....}

المفرد المضاف، المفرد المضاف يعم، ممكن تأتي بمثال يا أخي؟

{..... .....}

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، ما وجه العموم في قوله: ﴿بِعَبْدِهِ﴾؟

{..... .....}

إلى الله..

{..... .....}

أحسنت.. جميع معاني العبودية له صلوات ربي وسلامه عليه.

في طريقة القرآن في تقرير التوحيد، أشار المؤلف رحمه الله إلى أن التوحيد ثلاثة أقسام، أحدها الغاية، واثنان منها وسيلة، فما هي الأقسام وما الغاية منها وما الوسيلة؟

{..... .....}

جميل، توحيد الألوهية هو الغاية، وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، لا يعني كونه وسيلة أن يستهين المسلم، هي أنواع التوحيد يا إخوان، توحيد رب العالمين، البعض يقول توحيد الربوبية يقر به المشركون، وبالتالي قد لا يعتني به، لا، العناية به مطلوبة يا إخوان، وربنا أبدأ فيه وأعاد في كتابه وحث الناس على النظر في آياته الكونية وتأملها، والنظر فيها مطلوب، ومن أسباب الإيمان، ومن أسباب تقوية الإيمان، كذلك توحيد الأسماء والصفات يا إخوان، إنما يعرف الموصوف بأوصافه، ويعرف ربنا عز وجل بأفعاله، هذا توحيد الربوبية، وبصفاته وهذا بتوحيد الأسماء والصفات.

في طريقة القرآن في تقرير نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الله عز وجل أدلة كثيرة للدلالة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم منها ثلاث منها أو ...

{..... .....}

صدق المرسلين، جميل.

{..... .....}

أن القرآن الكريم مهمين أي نعم على جميع الكتب وشاهدا عليها.

{..... .....}

أنه كان أميا، وبشر به الأنبياء قبله، وأخبر عن حوادث وقعت، وعن مغيبات تأتي في مستقبل الزمان، ما حباه الله تعالى به من الأوصاف، ومن أكبر الأدلة على نبوته ما هو يا إخواني؟ هذا القرآن الذي بين أيدينا وهو حجتنا يا إخوان أمام كل مبطل، حجة لا يستطيع المبطلون أن يقفوا أمامها أبداً.

ولهذا ينبغي للمسلم أن يكون القرآن دائمًا نصب عينه في تلاوته في تدبره وحتى في دعوته، تواجهون يا إخوان أناس عندهم إشكالات، وأناس عندهم شبهات، وأناس مغرضون أيضًا، فالقرآن يا إخوان كافي في إقناع من يطلب الحقيقة، وفي الرد على كل مغرض مبطل، كما قال ربنا عز وجل.. من يذكر

لي دليل على أن القرآن كافي؟ وهو أعظم آية أعطيها محمد صلى الله عليه وسلم، من يذكر الدليل؟

{..... .....}

أحسنت.. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١] بعد طلبهم الآيات، ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١]، فدل على أن القرآن كافي، الخطاب هنا للمشركين يا إخوان، فالقرآن كاف لمن قصده الحق.

في طريقة القرآن في إثبات المعاد، ذكر المؤلف جملة من الأدلة الدالة على المعاد، وهذه القضية يا إخوان تثار واليوم تسمع كل شيء سواء عن طريق الأجهزة، حتى عن طريق من ؟؟ بعض الشبهات التي تعلق في الأذهان جراء سماع كل شيء، والاطلاع على كل شيء، ولا قوة إلا بالله، فقد تبتلى بشخص يشكك في المعاد، ونريد أدلة يا إخوان عقلية، ذكرها ربنا عز وجل في كتابه، يخاطب بها عقول المشركين؟

{....}

نعم.. إحياء الأرض بعد موتها، تنبت الأرض أنواع النباتات، ثم بعد ذلك تأتيها الرياح والشمس، وتذروها الرياح وتنتهي، ثم يأتيها المطر ثانية فتنبت كما هي، والبذرة تنبت النبتة نفسها لا تتغير ولا تتبدل.

فالذي أعادها ثانية ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]، وفي الحديث: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يُبْلَى إِلَّا عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ ابْنُ آدَمَ».

أيضًا من الأدلة يا إخوان التي ذكرها ربنا وهي إن كانت في القرآن إلا أن الله تعالى يخاطب بها العقول، نحن عندنا ثلاثة أدلة مشهورة جدا يكثر إيرادها في القرآن..

{.....}

بداية الخلق، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، أيضًا بقي دليل ثالث يكثر وروده في القرآن..

{.....}

ذكر من أحياهم الله بعد موتهم، فهم جملة كما ذكر، وأيضًا خلق ماذا؟ الشيء الكبير العظيم ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ..﴾ [غافر: ٥٧] إذا

كنتم تشكون أيها المشركون في إعادة خلق الإنسان، فخلق السماوات والأرض أكبر منه، فالذي خلق هذه المخلوقات العظيمة الكبيرة قادر على أن يحيي الموتى.

في طريقة القرآن في دعوة المؤمنين يدعو ربنا عز وجل عباده المؤمنين بدعوة ما أجملها، وما أجمل أن يلبي الإنسان النداء إذا سمعه، فما هذه الدعوة؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وردت في القرآن في كم؟ نعم في تسع وثمانين موضعا.

للدعوة بهذه الكلمة معاني يا إخوان نشير إليها، نذكر شيئا منها؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ذكر عدة معان يا إخوان عظيمة للنداء بها؟

{.....}

تشريف للإيمان.

{.....}

تشريف للمؤمن المنادى به.

{.....}

أن ما بعدها داخل في مسمى الإيمان.

{.....}

أن فيه تذكيرا بمنة الله على هذه النعمة ولفت لشكر الله، ومن شكره العمل بما يكون بعدها من أمر أو نهي، امتثالا أو تركا.

أيضًا أن مقتضى الإيمان..

{.....}

مقتضى الإيمان، إذا كنت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إذ كنتم مؤمنين فاعملوا.

وفيه تكميل للإيمان أيضًا، حث على تكميل الإيمان بما يكون بعدها من أمر أو نهي، وذكر المؤلف عدة طرق لدعوة المؤمنين وحثهم على الإيمان.

هنا مسألة لطيفة يا إخوان وهي عندما يكون الأمر بالإيمان لكافر أو لمؤمن، فما الفرق؟ عندما يكون الأمر بالإيمان لكافر، أو يكون الأمر لمؤمن، ما الفرق بينهما؟ وهذا يرد في القرآن.. هذه ما ذكرتها أمس، إذا أمر الكافر بالإيمان بما المراد؟

{.....}

أن يدخل في الإيمان.. نعم أن يأتي بأصل الإيمان، وأن يدخل في الإيمان، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ [النساء: ٤٧] آمنوا، ادخلوا في

الإيمان، فهم غير مؤمنين، فالأمر دخولهم في الإيمان وأن يأتوا بأصله كما ذكرت.

وإن كان للمؤمن؟

{.....}

تكميل الإيمان -جميل- وزيادته، ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله﴾، يعني كملوا إيمانكم، زيدوا إيمانكم بالإيمان بالله تعالى ورسوله.

في أيضًا طريقة القرآن في دعوة الكافر، وذكر أنه لم يأت نداء الكافر بوصف الكفر إلا في ماذا؟ موضع واحد، هو؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا﴾ [التحريم: ٧]، وهذا النداء هل هو في الدنيا أم في الآخرة؟ في الآخرة، وهذا النداء ما المراد به؟ نعم تبكيت، فالكفر وصف مشين يا إخوان، لا ينادى به حتى صاحبه، وأيضًا قد يكون أسلوب الدعوة والحكمة فيها إذا دعوت كافرا ألا تناديه بوصف.. لهذا ربنا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ويقول: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، وهذه تشمل المؤمن والكافر.

بعدها ذكر أنواع الدلالة الثلاثة، المطابقة والتضامن واللزوم، ما الفرق بينها؟ دلالة المطابقة يا إخوان؟

{.....}

دلالة اللفظ على كامل المعنى، كدلالة اسم الخالق على الخلق صفة الخلق وعلى ذات الرب عز وجل.

التضمن دلالة اللفظ على جزء المعنى، كدلالة اسم الخالق على صفة الخلق فقط.

اللزوم، دلالة اللفظ على لازم المعنى، كدلالة الخالق على أنه حي عليم قدير سميع بصير، وما أشبه ذلك.

الشيخ أكثر من توظيف دلالة اللزوم الحقيقة والكلام عنها، ويكثر أيضًا من استعمالها في تفسيره رحمه الله وهذا يثري لا شك طالب العلم، ويجعله يتوسع في مدلول اللفظ، وذلك أن القرآن حق، ولازم الحق ماذا؟ لازم الحق حق.

ذكر المؤلف عدة أمثلة منها ذكر أداء الأمانة، قال يلزم حفظها، منها العدل، يلزم منه العلم، منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلزم منه

العلم، منه شهادة أولوا العلم بعد شهادة الله وملائكته، يلزم منه أيضًا تعديلهم تزكيتهم، وما أشبه ذلك.

القاعدة الأخيرة التي أخذناها بالأمس وهي قاعدة جليلة شريفة، اقرؤوها يا إخوان بتمعن وتوسعوا في قراءتها، يعني اقرؤوا بعض ما كتب في هذا الأمر، لأنه من الإشكالات التي ما تزال ترد على الناس، وقد جاء رجل سأل ابن عباس أسئلة، فطالب العلم قد يحصل عنده إشكال أحيانا، لكن العامي أو الجاهل عندما يحصل عنده إشكال لا بد من إزالة هذا الإشكال، ناهيك على أن المغرض الذي يبحث عن مثل هذه الأمور.

هذه الإشكالات ترد على الإنسان لأسباب ذكرت في الدرس الماضي، أحد أسباب أربعة، فما هي يا إخوان؟

{.....}

سبب هذه الإشكالات معهم.. إما ..

{.....}

كيف؟

{.....}

الزيغ، وغيره..

ذكر أربعة أسباب يا إخوان السبب الأول القصور في العلم، والقصور في الفهم، وقلة التدبر، وسوء القصد، بارك الله فيك أحسنت.

تزول هذه الإشكالات التي تكون في ذهن الإنسان بمعرفة الاختلاف في أمور أربعة، ما هي يا إخوان؟

الاختلاف في .. الاختلاف بين هذه الآيات يرجع إلى الاختلاف في أحد هذه الأمور الأربعة؟

الاختلاف في الأحوال، واختلاف في الأشخاص، في ماذا؟

{.....}

الأمكنة والأزمنة.

اختلاف في الأحوال، اختلاف في الأشخاص، اختلاف في الأزمنة.. الحقيقة اقرؤوها بتمعن، ونحتاج أن نقرأها، لكن فيه مسألة واحدة وهي يمكن من أكثرها، وإن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز أن الكفار يوم القيامة ينطقون ويتكلمون ولا يكتمون الله حديثا، وفي آية آخر ذكر أنهم يحشرون عميا وبكما وصما فلا يتكلمون ولا يبصرون، وفي آية أخرى أنهم يبصرون،

فكيف نجمع بين هذه الآيات، وفيه جمع لطيف أشار إليه عالم اللغة المشهور الفراء رحمه الله أحد يذكره؟ هو يجمع يا إخوان بين هذه الآيات جمع واضح.

{.....}

جميل.. ما بين القبور إلى أن يحاسبوا يتكلموا.

{.....}

وما بعد الحساب يختم على فيه ويقال لجوارحه: انطقي كما ورد في الحديث المخرج في الصحيح، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥] يعني ختم على فيه خلاص، وهذا جواب ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه، لكن قبل حسابه وقبل الختم على فيه، يتكلم بل ويحلف ويكذب، بارك الله فيكم يا إخوان.. تفضل يا أخي.

{بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في كتابه القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن:

القاعدة الثالثة عشرة:

طريقة القرآن في الحجاج والمجادلة مع أهل الأديان الباطلة}

هذه القاعدة يا إخوان تتمة للقاعدة العاشرة في طريقة دعوة المشركين، لكن ما ذكره القاعدة العاشرة هو في طريقة دعوتهم، وفي أثناء دعوتهم قد يجادل بعضهم، وقد يأتي ببعض الشبه بعض الحجج، فما طريقة القرآن في جدالهم، أولا نعلم كما ذكر في الدرس الماضي أنه في الجدال لا بد من توخي الحكمة في الجدال، لن تستطيع أن تقنع خصمك بانفعال وغضب وبكذا، ثم المنفعل والذي يغضب الذي ليس عنده أو حجته ضعيفة أو قدرته على الإقناع ضعيفة، فيلجأ إلى هذه الطريقة ربما لتغطية ضعفه، لكن أنت أيها المسلم لا، معك ولله الحمد من الأدلة والنصوص ما تستطيع أن تقنع به خصمك، وربنا يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

فعند الجدال أولا تبدأ بنقاط الاتفاق بينك وبينه، ومنها تنتقل إذا استمر النقاش إلى طرق أو مسائل الاختلاف، ما الدليل على هذه المسألة يا إخوان؟

﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ [العنكبوت: ٤٦]﴾ متفقون على هذا الأمر، نحن آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم.. ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [البقرة: ١٣٩]، هذه مسائل متفق عليها.

لا تبدأ بالنزاع مسائل النزاع أول مرة، حتى لا يتشتت الجدال من اللحظة الأولى، ولهذا إبراهيم عليه السلام لما جادل الطاغية النمروذ، قال له أو ما قال: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فقال هذا الطاغية: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ وهو يعرف، نفسه يعرف أنه كاذب ولا يحيي ولا يميت.

إبراهيم لم يرد أن يستمر عليه الصلاة والسلام معه في أمر سينازع فيه ويكابر ويجادل فيه، انتقل وليس هذا انقطاعا في حجة إبراهيم لا والله يا

إخوان، انقطع إلى دليل مسكت، أخرسه ؟؟؟ وبهته، فقال: ﴿فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، انتهى.

فإذا بدأت بمسائل الاتفاق قد تنهي الخصومة من أولها، إذا استمر في النقاش والخصومة فهناك طرق ذكرها ربنا عز وجل، منها: تقرير توحيد الربوبية وذكره وعرضه، لأنه يؤمن به في الغالب، فتسأله من الذي ينفع؟ من الذي يضر؟ من الذي بيده الرزق؟ من الخالق؟ هذه مسألة يتفق عليها الناس عموما، حتى أهل الكتاب، ربما بعض الوثنيون ومشركو العرب كانوا يقرون بها، فإذا أقر بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي الميت المدبر للأمور كلها، فقل هذا هو الإله الذي يجب أن يعبد، وأما آلهتكم لا تملك ضرا ولا نفعا، دفعا، ورفعا، ولا تملك شيء، بإقرارهم.. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨] بإقرارهم، ولكن يعبدونهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

فإذا كان الرجل يريد الحق يا إخوان يقتنع، ولهذا ينتقل إلى الاحتجاج عليه فيما أقر به على ما أنكره، هو أقر بماذا يا إخوان؟ مشركو العرب كانوا

يقرون بنوع من التوحيد ما هو؟ توحيد الربوبية، فتحتج عليه فيما أقر به على ما أنكر، أولست تقر بتوحيد الربوبية؟ سيقول: بلى، تقول: فيلزمك إذن أن تقر بتوحيد الألوهية وهذا من دلالة اللزوم، لأن التوحيد الربوبية يدل على توحيد الألوهية بدلالة اللزوم، وتوحيد الألوهية يدل على الربوبية بدلالة التضمن.

أعطوني دليل يا إخوان على هذه المسألة في القرآن؟

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢]، بإقراركم أنت أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يخلقكم ورزقكم وهو المدبر للأمور كلها، إذن يلزمكم أن تتقوه وتطيعوه، وهذا يكفي في القرآن يا إخوان وأدلته مشهورة.

أيضًا من الأدلة كما قلت وهو الدليل الكبير والآية العظمى تحديهم، التحدي بماذا؟ ما الشيء الذين نملكه نتحدى به العالم كله؟ هذا القرآن يا

إخوان، والذي قال فيه ربنا عز وجل: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤].

وإذا كان عاند وأصر يقال هذا القرآن، وهم يا إخوان يعرفون عظمة القرآن، وإلا ماذا فعل المشركون مشركو العرب في القرآن، لما رأوا أن كل من استمع إلى القرآن حتى كبارهم تأثر بالقرآن، ﴿لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، تشويش، تشويه، هذه الطريقة التي يتبعها من يأس يا إخوان، من يأس من أن يرد على خصمه، يتبع طريق التشويش، محمد ساحر كاهن شاعر، تلفيق هذه التهم وهذه الأباطيل، ﴿لاَ تَسْمَعُوا﴾ يوصي بعضهم ﴿لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ وإذا قرأ فشوشوا.. كانوا إذا قرأ ؟؟ يصيحون يصفرون ويصفقون حتى لا يسمع الناس للقرآن.

هذا يدل على أن القرآن بلغ مبلغا يا إخوان في نفوسهم، وعلموا أنه أعظم مؤثر، أعظم ما يؤثر في القلوب أن تدعو الناس بكلام الله عز وجل، ولهذا أنا أقول لإخواني يا إخوان استعملوا كلام الله تعالى في الدعوة إلى الله عز وجل، حتى وأنت إمام تصلي في الجماعة، استحضر أنك تسمعهم أعظم كلام، ما نقول تلقي محاضرة لا، أعظم كلام يا إخوان، فلربما سمع شخص منك آية

صلى معك أو خارج المسجد، كانت والله سببا لهداية كثيرين يا إخوة، ولو قرأتم في قصص من يتوبون ومن يسلمون، من يتوب من المسلمين ومن يسلم من غيرهم لرأيتم الكثير كثير من كان سبب إيمانه سماع كلام الله عز وجل.

ما أجدت فيه هذه الطريقة ولا نفعت فيه، أحيانا تقول خلاص انتهى الأمر ﴿لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا﴾، ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥] خلاص، قال العلماء: يعني لا خصومة بيننا وبينكم، انتهى الأمر، الله يجمع بيننا ويحاسب كل.. وإليه المصير.

وتأملوا يا إخواني لفتة جميلة في الآية عظيمة ﴿فَلِذَلِكَ﴾ ماذا؟ اقرءوا الآية معي ﴿فَادْعُ﴾ طيب أنا أسألكم الدعوة قبل الاستقامة ولا بعد الاستقامة؟ بعد، طيب لماذا قدمت في الآية، تقديم ما حقه التأخير يدل على ماذا يا إخوان؟ على الحث عليه والاهتمام به، والعناية به.

كما ذكر ذلك في قوله: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قدم التعليم مع أنه بعد الدراسة، نظرا لأهميته، وتأكيدا يا إخواني على من تعلم أن يعلم، وعلى من استقام أن يدعو إلى الله عز وجل.

إذا لم تجز هذه الطرق واحتاج الإنسان أن يلزمه الحجة، ينتقل إلى المباهلة، كما قال عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، يبتهلون ثم يدعون أن لعنة الله على الكاذبين، وحينها يا إخوان في المضائق تتبين الحقائق، إذا وصل الأمر إلى هذه الدرجة، فرعون يا إخوان لما أطبق عليه البحر ماذا قال؟ ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لاَ﴾ [يونس: ٩٠]، وقبل ذلك ماذا كان يقول؟ يقول هو ربهم الأعلى.

فإذا دُعي للمباهلة نكص، ولهذا جاء نصارى نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوا وحتى يستدلون ببعض الشبهات من القرآن، أدلة

استدلالات، دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم للمباهلة، فرفضوا المباهلة، وأزعنوا ودفعوا الجزية.

{أحسن الله إليكم..

قال: القاعدة الرابعة عشرة:

حذف المتعلق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب له}.

حذف المتعلق المعمول به يدل على العموم، هذا المتعلق يدل على ماذا؟ على العموم، أحيانا يحذف المتعلق لأجل إفادة العموم، لأنه إذا ذُكر اختص بما يدل عليه، وهذا أمثلته في القرآن ترى يا إخوان عندما يذكر العلماء القاعدة يقول هذه قاعدة وهذا تطبيقها، فانظر أنت وتأمل في كتاب الله، وتدبر القرآن.

إِنْ رُمْتَ الْهُدَى فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

أعطوني أمثلة.. ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، أين المعمول؟ المتعلق محذوف، تتقون الله عز وجل، لكل ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى، تتقون المحارم، تتقون

المفطرات، وهلم جرا، هذا العموم من أين أتانا يا إخوان؟ من حذف المتعلق، أما حذف المتعلق فأفاد العموم.

خذ أيضًا قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، المؤمن قد يأتيه الشيطان ويلقي في روعه شيء، فيتذكر فإذا هو مبصر، فيطرد الله تعالى عنه الشيطان ونزغاته، تذكروا ماذا يا إخوان؟ تذكر تعظيم الله عز وجل في قلبه، تذكر مراقبة الله سبحانه وتعالى واطلاعه عليه، تذكر الذنب الذي ربما يقع فيه وضرره على قلبه، تذكر نزغات الشيطان واستدراجه للإنسان ومحاولاته أن يجره في المعاصي درجة درجة، تذكر أمور كبيرة وكثيرة، من أين أتانا هذا العموم؟ من حذف المتعلق.

وأمثلته يا إخوان في القرآن كثيرة، ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، التكاثر في ماذا؟ في الأموال في الأولاد في الأشغال، فسره ربنا بقوله: ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾ [الحديد: ٢٠].

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [وَالعصر: ٣]، بالصبر على ماذا؟ بأنواعه الثلاثة، الصبر على طاعة الله وعن معصيته وعن أقداره المؤلمة، من

أين أتيتم بهذا الكلام؟ انظروا كيف المفسر يا إخوان يعني يجد سعة من مثل هذه القاعدة، فيتبادر للعامة أن الصبر هو الصبر على المصائب، ولا يكاد يخطر في ذهن الواحد الصبر على الطاعة، مع أن أعظم أنواع الصبر الثلاثة ما هو يا إخوان؟ الصبر على الطاعة على القول الصحيح.

المحسن يا إخوان يرد في القرآن، ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٦]، محسنين مع ربهم، ومحسنين إلى خلقه، لا تكون محسنين إلى الله، لا، ربنا ليس بحاجة إلى إحسان أحد، محسن في طاعة ربه، ومحسن إلى إخوانه المسلمين، طيب من أين أتى هذا العموم واللفظ محسن وفقط، أتى أيضًا من ماذا؟ أتى من حذف المتعلق، ونظائر هذا يا إخوان، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] إلى آخره.

إذا تأملت ونظرت في مدلولات الكلمة، وما يمكن أن تقدره من متعلقاتها، فإن هذا يوسع مدارك الإنسان، ويعطيه ثروة يا إخواني في مدلولات اللفظ، بحيث لا يخصه على شيء قليل.

{أحسن الله إليكم..

قال: القاعدة الخامسة عشرة

جعل الله الأسباب للمطالب العالية مبشرات لتطمين القلوب وزيادة الإيمان}

عندنا يا إخوان أسباب وعندنا مطالب عالية، مطالب عالية وأمور كبيرة، يجعل الله سبحانه وتعالى بعض الأسباب مقدمات لها كالمبشرات بها، والغاية من ذلك ما هو؟ تطمين القلوب وراحتها، إذن عندنا مطالب عالية، أمور كبيرة عظيمة، وثمة أسباب تكون مقدمات لها، وهذه الأسباب تكون مبشرة بها لأجل راحة النفس وطمأنينة القلب، مثل المؤلف عندما بأمثلة.

مثل قوله عز وجل في نزول الملائكة يوم بدر ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، يعني نزول الملائكة كان بشرى، والغاية منه ما هو؟ طمأنينة القلوب، بشرى بماذا؟ بالنصر، إذن المطلب العالي هنا ما هو؟ المطلب ما هو؟ النصر يا إخواني، والسبب نزول الملائكة فأنزل الله تعالى الملائكة مبشرين بهذا النصر، ولكي تطمئن القلوب وترتاح النفوس.

وهل قاتل الملائكة أو لم يقاتلوا؟ خلاف، وإن كان الدليل في صحيح مسلم دل على أنهم قاتلوا.

من الأمثلة أيضًا قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦]، وهو الذي يرسل الرياح مبشرات، يرسل ربنا الرياح مبشرات، مبشرات بماذا؟ بنزول المطر، فنزول المطر لا شك أمر كبير يتطلع الناس إليه ينتظرونه، ويدعون ربهم، ربنا صلوا يستغيثون ربهم، فيجعل الله سبحانه وتعالى بعض الأسباب مبشرات، مثل ماذا يا إخوان؟ مثل هبوب الريح، وأنا أقول الريح يا إخوان، بل هبوب الرياح، لأن الريح لم يرد في القرآن إطلاقها إلا على العذاب، كما في قوله عز وجل في عاد: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، وأما الرحمة فلم يرد إطلاق الريح فيها إلا في موضع واحد، ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢] طيب كيف هل انخرمت القاعدة؟ أبدأ ما انخرمت، الريح إذا أفردت فهي ريح عذاب إلا في البحر، فإنها إذا كانت رياحا هل تكون مريحة؟ السفينة وكانت السفن في الماضي تسير بالرياح، لو عصفت به الريح مرة يمين مرة يسار مرة أمام مرة خلف، ماذا يحصل لها؟

تغرق، وربما لو تغيرت الريح رجعت إلى القهقرة، فإنما تكون الريح طيبة إذا كانت من جهة واحدة، أما في البر فلا، وذلك أن الريح في البر إذا كانت من جهة واحدة مؤذية متعبة، يعني لو أن ريحا باردة، ريح الشمال التي تهب أحيانا إذا استمرت عشرة أيام عشرين يوم ماذا يحصل؟

يتجمد الناس يا إخوان، ولهذا من حكمة الله دائما تلاحظون تهب ريح الشمال يومين ثلاثة أيام ثم تأتي ريح الجنوب، ريح الجنوب دافئة، فتكسر حدتها، ولهذا كانت الرياح في البر رحمة، والريح ماذا؟ عذاب بخلاف ريح البحر.

من المبشرات أيضًا قول ربنا عز وجل: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤]، ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين.

من هو الولي يا إخوان؟ مصطلح الولي حصل فيه تشويش كبير، حتى أصبح كثير من أولياء الشيطان أولياء في نظر كثير من الجهال، من هو الولي يا إخوان؟

المؤمن ماذا يا إخوان؟ التقي بنص كلام ربنا، فمن كان لله تعالى مؤمنا تقيا كان له وليا، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] دون تكلفات ودون شروط، ودون كرامات، ودون أمور، فإذا كان مؤمنا تقيا فهو ولي لله عز وجل.

قال عز وجل: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤].

من المبشرات أيضًا في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن أو ترى له، لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن أو ترى له.

من المبشرات أيضًا ثناء الناس، لكن بشرط، ألا يتطلبه الإنسان ولا يسعى إليه، ما يسعى إليه نعوذ بالله، لكن إذا أثني عليه وهو لم يسع بل ربما لا يحب أن يسمع الثناء من الناس، فلعل هذه أن تكون من المبشرات له بالخير.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، ابشروا،

تنزل عليهم الملائكة عند الموت فتبشرهم، وتنزل عليهم في القبر فتبشرهم، وتنزل عليهم عند بعثهم فتبشرهم، وهذه مبشرات عظيمة يا إخوان، بأعظم المطالب، وأثنى المنازل والمراتب، الجنة نسأل الله الكريم من فضله.

حتى ذكر الشيخ من المبشرات ذكر ما يعتري المسلم أحيانا من ضيق وشدة وبلاء، ثم يأتي بعد ذلك الفرج، فاشتداد الأمر مؤذن ومبشر بانفراجه، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح: ٥]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧]، فلا يظن المسلم إنه إذا عرض له عارض أو ابتلي ببلاء أنه لن يتخلص من هذا الأمر، لا، بل ينتظر الفرج، ومن أفضل العبادة انتظار الفرج، ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ [الطلاق: ٧] وتأملوا السين هنا يا إخوان، ما الفرق بين السين وسوف، السين يقولون للتنفيس، وسوف للتسويف، أيهما أقرب، التنفيس أم التسويف؟ التنفيس، ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ﴾، لهذا لما قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [يوسف: ٩٧]، ﴿قَالَ سَوْفَ﴾ [يوسف: ٩٨]، قيل إنه أخر استغفاره إلى آخر الليل، والله أعلم.

{أحسن الله إليكم..

قال: القاعدة السادسة عشرة

حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدته في مقامات الوعيد}

حذف جواب الشرط هنا نحتاج اللغة يا إخوان، نحتاج النحو، النحو مهم يا إخواننا، اعتنوا به، وما اعتنى شخص بشيء إلا فتح له منه ما فتح، حذف جواب الشرط في مقامات الوعيد يدل على تهويل الأمر وشدته، وهذا كثير في القرآن، كما في قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢]، ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ أين الجواب؟ حذف الجواب، أين أداة الشرط: لو، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾، الجواب: لرأيت أمرا شديدا مهولا عظيما، لماذا حذف الجواب يا إخوان؟ حتى يقدر الذهن من الشدة والهول أعظم ما يقدر.

ولهذا نظائر في القرآن كثير، كقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١]، أيضًا رأيت أمر عظيم شديد، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٣٠]، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ونظائر هذا في القرآن كريم، قال

تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ * كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ١-٦] إلى آخر السورة، أين جواب لو تعلمون علم اليقين؟ محذوف، تقديره: لو تعلمون علم اليقين ما ألهاكم التكاثر، ولكن ما هذا الشيء الذي تعلمونه، ما ذكر هنا يا إخوان، ليدل على شدته وهوله وعظم أمره.

مما يدل على شدة الأمر وهوله أيضًا الإبهام والإجمال، إبهام الشيء وإجماله، مثل قوله عز وجل: ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ [النجم: ٥٤، ٥٥]، ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦]، ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].. واحد يقول غشي ما غشي، ما تبين شيء، نقول نعم ما تبين شيء، أبهم هذا الذي غشى، ولماذا أبهم؟ لو ذكر لعرف، لكن إبهامه يدل على عظمه وشدته وأن الذهن يقدر ما يقدر ويفترض ما يفترض فكل ما قدر وما افترض فالأمر أعظم وأشد منه.

واضحة القاعدة يا إخوان..

{أحسن الله إليكم..

قال: القاعدة السابعة عشرة

بعض الأسماء الواردة في القرآن الكريم إذا أفرد دل على المعنى العام المناسب له، وإذا قرن مع غيره دل على بعض المعنى، ودل ما قرن معه على باقيه}

نعم بعض الأسماء في القرآن إذا أفردت عمت وإذا قرنت خصت، وإن شئت فقل: في ألفاظ في القرآن إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت، كيف؟ يعني كلمة وردت وحدها تدل على معنى عام، لكن وردت مع غيرها تدل على معنى أخص، مثل المؤلف عندنا هنا بالإيمان والعمل الصالح، وإن شئت فقل الإيمان والإسلام، أراد بالعمل الصالح الأعمال الظاهرة، الإسلام، فالإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، تعطوني مثال لاجتماعهما يا إخوان؟

حديث جبريل، لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، وسأله عن الإيمان، فماذا أجابه المصطفى صلى الله عليه وسلم، أجابه عن الإسلام بأركانه الخمسة، وهي أعمال ظاهرة الشهادتان الصلاة الصيام الزكاة الحج،

وأجابه عن الإيمان بالأعمال الباطنة، عقائد القلوب وأعمالها تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله إلى آخره..

فلما اجتمعا افترقا، فصار الإسلام الأعمال الظاهرة، وصار الإيمان العقائد الباطنة، ونظائر هذا في القرآن كثير، ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آلعمران: ٥٢]، ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

الشيخ يقول الأعمال الصالحة نفس الكلام، لأن الأعمال الصالحة ؟؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البروج: ١١]، فإذا قرنا فالعمل الصالح هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الأعمال الباطنة.

لكن إذا ورد الإسلام وحده فما المراد به، الدين كله عموم ظاهره وباطنه، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، كل الدين، وإذا أفرد الإيمان وحده، أريد به العموم، ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، إيمانا في الظاهر وإيمانا في الباطن.

منه أيضًا البر والتقوى، إذا أفرد البر فهو الدين كله، امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وإذا أفردت التقوى فهي الدين كله أيضًا، الأوامر

والنواهي، وإذا اجتمعا ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] فالبر امتثال الأوامر، ؟؟ اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه إلى آخره.. والتقوى اجتناب ما نهي عنه، اسم جامع لكل ما نهى الله سبحانه وتعالى، هذا عند اجتماعهما، لكن إذا أفردا فكل واحد منهما يشمل الدين كله.

الإثم والعدوان، ﴿وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] الإثم إذا ورد وحده شمل كل معصية اقترفها الإنسان، سواء كانت بينه وبين الله، أو بينه وبين الناس، كذلك العدوان، وإذا اجتمعا كما في الآية، فالإثم هو الذنوب التي تكون بين العبد وربه، والعدوان هو ما يكون بينه وبين الناس.

الفقير والمسكين، ذكر الشيخ عدة مسائل والمسائل سهلة ومشهورة يا إخوان، مروا عليها في الكتاب بارك الله فيكم.

{أحسن الله إليكم..

قال: القاعدة الثامنة عشرة

في كثير من الآيات يخبر بأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وفي بعضها يذكر مع ذلك الأسباب المتعلقة بالعبد، الموجبة للهداية أو الموجبة للإضلال، وكذلك حصول المغفرة وضدها وبسط الرزق وتقديره}

نعم هذه مسائل يا إخوان، ويمكن أن ندرجها ضمن القاعدة الثانية عشرة، فالجمع بين الآيات التي يظنها قصار النظر مختلفة، لدينا الهداية والإضلال، المغفرة والعذاب، بسط الرزق وقدره على بعض الناس، يضيف الله عز وجل هذه الأشياء أحيانا إلى نفسه، دون ذكر أسبابها، فيقول في الإضلال مثلا والهداية ﴿مَن يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، أضاف الهداية والإضلال إلى مشيئته سبحانه وبحمده.

يقول في المغفرة والعذاب ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

يقول في الرزق: ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، لكل هذه المسائل أضاف الله تعالى أضافها إلى ماذا يا إخوان، إلى مشيئته، لكن في آيات أخرى يضيفها إلى أسبابها، فيقول في الإضلال مثلا: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللهِ﴾ [الأعراف: ٣٠] لماذا أضلهم؟ ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾، يقول في

الهداية: ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾ [المائدة: ١٦]، لماذا هداهم الله؟ اتبعوا رضوانه سبحانه وبحمده.

يقول في المغفرة ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، لماذا غفر له؟ تاب وآمن وعمل أسباب المغفرة.

يقول في العذاب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لاَ يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٤-١٦]، ذكر للعذاب سببين، هما أهم أسباب العذاب، تندرج تحتهما جميع أسباب العذاب.

ذكر في الرزق أيضًا ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ [نوح: ١٠، ١١] إلى آخره.

إذن أضيفت هذه الأشياء مرة أضافها ربنا إلى محض مشيئته، ومرة إلى أسبابه، فكيف الجمع؟

إن أضافها ربنا إلى ذاته بيانا لتوحيده وتفرده سبحانه وتعالى بها، فهي لن تكون أبدا إلا بإذنه سبحانه وبحمده، وفي الرزق ما يدل على أن خزائن السماوات والأرض تحت يده، وبإذنه وأمره وتصرفه سبحانه وبحمده، وفيه حث للعباد إلى أن تتعلق قلوبهم بربهم وألا يلتفتوا إلى أنفسهم، فضلا عن أن يلتفتوا إلى الخلق في طلب الهداية والمغفرة والرزق، وإنما يطلبوه منه سبحانه وبحمده.

وأضافها إلى الأسباب لماذا؟ حتى لا يقال إنه سبحانه وتعالى يهدي ويضل، ويغفر ويرحم ويرزق ويحرم، هكذا جزافا، لا، وإنما هدايته سبحانه وتعالى وإضلاله بأسباب، كان العبد متسببا بها، فلما حصل منه هذا السبب أزاغهم الله تعالى وأضلهم، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي..﴾ [القصص: ٥٦] لماذا؟ كملوا الآية يا إخوان: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أعلم بمن يستحق الهداية، فهديه، وأعلم بمن لا يستحقها فيضله ويغويه.

واضح يا إخوان، هذه قاعدة جميلة، تأملها، والنظر فيها، ونحتاجها كثيرا يا إخوان.

{أحسن الله إليكم..

قال: القاعدة التاسعة عشرة

ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم}

هذه قاعدة جميلة جدا، واقرأوها يا إخوان في الكتاب كاملة، نحن نأتي على بعض للتوضيح لها، لكن نحتاج إلى أن نقرأها، قد قل أن تجدها يا إخوان في كثير من التفاسير، تجد عند ابن كثير الاهتمام بها رحمه الله، وعند ابن القيم رحمه الله يصول ويجول في الحديث عنها، كذلك شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، إنما يتحدث عن مثل هذه المسائل علماء السلف يا إخوان، لأن لأسماء الله الحسنى وصفاته العلى قدرا ومنزلة عندهم عظيمة، كيف وهي توحيد، من أنواع توحيده سبحانه وبحمده.

يمكن أن نضع هذه القاعدة ضمن نقاط يا إخوان.

أولا: قال الشيخ في أولها:

{ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم}

هذا رأس القاعدة، يعني عندما تقرأ الآية وترى أنها ختمت بأسمائه الحسنى وصفاته، فمعناه أن هناك علاقة بين مضمون الآية معنى الآية حكم الآية وبين ذلك الاسم.

؟؟ يا إخوان آية فيها دعاء الله ثم يأتي آخرها والله شديد العقاب، فثمة علاقة بين الاسم وبين مدلول الآية ومضمونها، ولهذا كل ما مر عليك اسم من أسماء الله عز وجل في هذه الآية فتأمل العلاقة بين ذلك الاسم وبين مضمون تلك الآية.

ولهذا وهذه مسألة ثانية: الآيات التي فيها دعاء تختم غالبا باسمه تعالى السميع العليم، باسمه السميع واسمه العليم، قال إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آلعمران: ٣٨]، وضعوا هذه الفائدة يا إخوان اسم السميع إذا جاء بعد الدعاء سواء كان دعاء عبادة أو مسألة فالمراد به المستجيب.

لأن السمع في القرآن له ثلاثة معاني، الأول: السمع المجرد، سمع الأصوات، والثاني: السمع بمعنى الفهم، سمع فهم، لكن لم يصل الأمر إلى القلب، الثالث وهو أعظمها السمع بمعنى: الاستجابة، ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، ماذا تعني يسمعون؟ بآذانهم، لا بقلوبهم، يستجيب الذين يسمعون فيقبلون ويتقبلون ويستجيبون دعاء ربهم ونداءه سبحانه وبحمده.

المسألة الثالثة الآيات التي فيها ذكر الأحكام أو الوعيد تختم أيضًا باسم العزيز الحكيم، أو العليم الحكيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ﴾ [المائدة: ٣٨] أكملوا الآية ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

كان الأصمعي أحد علماء اللغة المشاهير رحمه الله، يقرأ في المسجد، فقرأ الآية، فقال في آخرها (نكالا من الله والله غفور رحيم)، وكان في المسجد أعرابي، أعرابي لا يقرأ، رفع رأسه، وقال: ليست الآية هكذا، الأعراب معروفين يا إخوان بجودة القريحة، قال: تقرأ يا أعرابي، قال: لا ما أقرأ، لكن ليس الآية كذلك، نظر في المصحف وإذا الآية كما هي، قال الأعرابي: عز

فحكم، كيف فهم هذا الأعرابي وهو لا يقرأ القرآن أن ختم الآية بهذا الاسم؟ الآية فيها قطع يد فكيف.. ولهذا قال بعدها: ﴿فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]، ولهذا إذا ختمت الآية بالمغفرة والرحمة والكلام معها مع الكفار أو المنافقين فهي من أرجى آيات القرآن، في القرآن آيات يسميها العلماء آيات الرجاء، ترجي المؤمن يا إخوان، ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الأحزاب: ٢٤]، هذه من آيات الرجاء العظيمة، ﴿يُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ لماذا؟ لأنه غفور رحيم.

فإذا ذكرت المغفرة والرحمة في الآيات التي فيها ذكر للمنافقين أو الكفار أو ذكر بعض العصاة فهي لا شك من آيات الرجاء، وإلا فالأصل أن الآيات تختم بالعزة والحكمة وبالعليم وبالحكيم إلى آخره.

النقطة الرابعة: قد يذكر الله سبحانه وتعالى الاسم في آخر الآية دون أن يذكر الحكم الذي يتضمنه ذلك الاسم، يذكر الاسم فقط اكتفاء بذكره، ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:

٢٠٩] ما قال ربنا فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فكذا وكذا من العقاب لكم، اكتفاء بماذا يا إخوان؟ بذكر اسمه سبحانه وبحمده ﴿أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، عزيز لا يغالب ولا يقهر ولا يغلب، حكيم يضع كل شيء في موضعه المناسب له سبحانه وبحمده، هذا فيه تهديد ولا ما فيه تهديد؟ فيه تخويف بلا شك.

وقال في المحاربين قطاع الطرق ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤]، طيب إذا تاب المحارب ولم يسفك دما ولم يأخذ شيئا وتاب، فماذا يفعل به؟ يخلى سبيله، ما الدليل؟ طيب ما في الآية خلوا سبيلهم، لكن إذا كان الله تعالى غفر لهم فما معنى أن نعاقبهم نحن، فاكتفى ربنا بذكر اسمه عن ذكر الحكم، عن ذكر ذلك الحكم، وهذا في القرآن كثير يا إخوان.

﴿إِن تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُواً قَدِيراً﴾ [النساء: ١٤٩]، وإذ كان عفوا قديرا فكونوا أنتم أيضًا بهذه الصفة، اعفوا عمن عمل سوءا فالعفو لا شك فضل والفضل مسنون.

ذكر الشيخ يعني الشيخ مر بجملة من الآيات يا إخوان ذكر فيها بختم هذه الآيات بالأسماء وتكلم عنها بكلام جميل، مروا عليه واقرأوه بارك الله فيكم، ولكن أخي تدبر القرآن فعندما تمر بك الأسماء فاسأل نفسك ما العلاقة بين هذه الآية وبين هذا الاسم الذي ختمت به.

{أحسن الله إليكم..

قال: القاعدة العشرون

القرآن كله محكم باعتبار، وكله متشابه باعتبار، وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار ثالث}

نعم يا إخوان هذه قاعدة جليلة شريفة، نحتاج إليها يا إخوان في هذا الزمن، من يواجه الناس يا إخوان ويسمع كلامهم يجد عجبا، شبابنا اليوم يسمعون كل شيء، شبابنا وغير شبابنا يسمعون كل شيء، ما فيه حدود، في هذا يا إخوان من الأذى والشر والخطر العظيم ما يجب التنبه له، وما يؤكد على طلاب العلم وعلى المربين السعي في صيانة أبنائنا وفلذات أكبادنا وحفظهم من هذه الشبهات المحرقة.

وعندما يتكلمون ويحاولون أن يكيدوا من الأساليب والتي فيها مكر ما يقال عنه دس السم في العسل، يأتي بكلام جميل وكلام كذا وكلام كذا ويطرح في ضمنه يا إخوان شبهات تؤذي، والله تؤذي، تسمع شبهات اللهم سلم سلم، وشباب أحداث صغار يا إخوان، بل بعضهم حتى أطفال.

القرآن كله محكم، يقول عز وجل: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١]، في غاية الإحكام وغاية الانتظام، في أخباره وفي أحكامه، لا اختلاف بينه ولا تناقض، ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيراً﴾ [النساء: ٨٢].

وكله أيضًا متشابه، ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الزمر: ٢٣].

ما معنى كونه متشابه؟ يشبه بعضه بعضًا، في الصدق، وفي الدلالة على الحق، في البيان والفصاحة والبلاغة، في نظمه وانتظامه، في صدق أخباره وفي عدل أحكامه، بعضه يشبه بعض.

إذن القرآن بهذين الاعتبارين كله محكم وكله متشابه، لكن قد تقول هذا الكلام ثم يأتيك شخص ويقول أنت تقول إن القرآن كله محكم وكله متشابه، وربنا عز وجل يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، فدلت الآية على أن من القرآن ما هو محكم، ومنه ما هو متشابه، فكيف تجيب؟

وهذه يمكن أن ندرجها ضمن القاعدة الثانية عشر، نقول لا اختلاف في كتاب ربنا، والله يا إخواني الكلمة في مكانها في هذا القرآن العظيم نظرية يتحدث عنها علماء البيان مثل عبد القاهر الجرجاني وغيره وهي نظرية النظم في القرآن، وهي من أسرار هذا القرآن وإعجازه، أن هذا القرآن في نظم بديع عجيب، الآية في مكانها والكلمة من الآية في مكانها، ولهذا إذا كنت تقرأ حفظا وأخطأت، أتيت بكلمة في غير مكانها، وكنت ساهي ماذا يحصل؟ تستمر، تستمر وماذا؟ في السورة التي تقرأها ولا في السورة التي فيها الكلمة؟ السورة الثانية، تنقلك الكلمة إلى موضعها، ويمكن تقرأ آيتين ثلاث أربع ثم تكتشف أنك أخطأت فترجع.

وهذا لأنك أخللت في النظم، القرآن نظمه بديع يا إخوة، تقرأ قديمًا يا إخوان في بداية الحفظ، وكان إلى جانبي رجل عامي رحمه الله ولكنه من أذكياء الرجال، الناس قديمًا يا إخوان ما يتاح لهم التعليم فتجد في العوام أناس فيهم نباهة وفيهم ذكاء، فالتفت إلي وقال أخطأت، فقلت له: وكنت أعرفه معرفة كاملة، قلت: ما يدريك أني أخطأت وأنت ما تقرأ، قال: أعرف، فوقفت وتأملت، فإذا أنا قد أخطأت وتركت أربع آيات، كيف عرف يا إخوان؟ كيف عرف؟ النظم يا إخوان، نظم الآيات اختل في ذهنه، وهو كثير السماع لكتاب الله عز وجل، يجلس في المسجد كثيرًا، ويسمع من يقرأ، فاختل في ذهنه نظم الآيات فأدرك أن في الآيات خطأ، وهذه يا إخوان بديعة في كتاب الله عز وجل، وكما قلت لكم إذا كنت تقرأ أو تقرئ وأخطأ القارئ حفظا تجده يستمر وتنقله الآية إلى مكانها، هذه من أسرار هذا القرآن العظيم.

ما معنى كون القرآن محكما وكونه متشابها؟ معنى كونه محكما يعني بعضه محكم يعني من حيث المعنى واضح المعنى، واضح الدلالة، بين، واضح جلي، ومعنى كونه متشابه يعني في معناه نوع اشتباه ونوع خفاء،

الكلمة تحتمل عدة معاني، في المحكم لا، احتمال هذا المعنى الثاني بعيد، لكن في المتشابه تحتمل معاني.

إذن كون بعضه محكما وبعضه متشابها يرجع إلى أي شيء؟ إلى وضوح المعنى وخفائه، ولذا هذا اتخذ الزائغون من المتشابه وسيلة للكيد والطعن في كتاب الله وفي الإسلام، لماذا؟ لأنهم يجدون الكلمة قد تدل على شيء ممن ماذا؟ مما في قلوبهم، فيأخذون بها ويتركون الآيات المحكمات التي هي أوضح من الشمس في رابعة النهار.

ولهذا قال ربكم يا إخوان، شاركوني جزاكم الله خير، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الله أكبر، والله إنك تسمع وترى عيانا ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾، ابتغاء فتنة أتباعهم، وفتنة من يدعونه إلى زيغهم، وابتغاء تأويله وصرفه إلى المعاني الفاسدة التي يريدونها.

وعندما تأتيهم بالمحكمات والآيات الواضحات يسكت ما يستطيع أن يجيب عنه، وأما الراسخون فكيف تعاملهم مع هذا المتشابه؟

يردون المتشابه إلى ماذا يا إخوان؟ فيصير القرآن كله عندهم كله محكم ولله الحمد، ولهذا تجد دائمًا المغرضين سواء من الكفار أو الضلال أو

المنحرفين دائماً بضاعتهم يا إخوانهم النظر في أي شيء، النظر في المتشابهات.

يبحث عن المتشابه، ويترك في سبيل ذلك المحكمات، لأنه صاحب هوى، ولهذا كان الشيخ محمد بن عثيمين قدس الله روحه يقول مقولة، يقول: ينبغي للإنسان أن يستدل قبل أن يعتقد، كيف؟ يعني يعتقد مسألة من المسائل أو حكم من الأحكام، قبلها ينظر في ماذا يا إخوان؟ في الدليل، يكون معه دليل، لماذا؟ لأنه إذا نظر في الدليل تبع الدليل، لكن إذا كان لديه المسألة ونظرها واقتنع بها ثم راح يبحث عن دليلها، تجده يبحث عن ماذا؟ عما يوافق هذه المسألة التي في ذهنه، ولهذا ربنا يقول: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ﴾، القلوب زائغة قبل النظر في أي شيء؟ في الأدلة، فلما نظروا في الأدلة نظروا في الأدلة المتشابهة التي يجدون في بعضها من المعنى ما يؤيد ولا قوة إلا بالله زيغهم، وهو معنى بعيد لا تدل عليه الآية، لكنهم يحملون الآية ما لا تحتمل.

طبعاً الأمثلة يا إخوان كل التي مرت بنا مما تقدم يمكن أن يمثل بها، الآيات التي يظن فيها الاختلاف، مثل الشفاعة، الخوارج والمعتزلة الشفاعة

نفوها، وأخذوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة، فماذا إذا لم يشفع فيه، خلاص، فيقال هذه الآية متشابه ردوها إلى ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، محكم، ينتهي الكلام.

﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠] لأن الله ليس راضيا عنهم ولم يأذن بالشافعة لهم، انتهى الإشكال، فرد المتشابه إلى المحكم فصار القرآن كله ولله الحمد محكم، وأما الزائغ لا يأخذ هذه ويترك هذه الآيات الأخرى، ولهذا لن تجد زائغا كائنا من كان سواء كان من الفرق والفئات والجماعات قديمًا وحديثًا، أو كان من غير المسلمين إلا وبضاعتهم مزجاة البحث عن ماذا يا إخوان، البحث عن المتشابهات.

أستغفر الله أستغفر الله..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمد لله، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

مرت بنا بعض القواعد أحب أن أسأل بعض الأسئلة عما مر، يذكر الله سبحانه وتعالى الهداية والمغفرة وبسط الرزق، وما يقابلها مضافة إلى مشيئته عز وجل في آيات، وأحيانا يذكرها مع أسبابها، فما الجمع بينها يا إخوان، أو ما الغرض من ذلك؟

عندما يذكر ربنا الهداية يضيفها إلى مشيئته، ﴿مَن يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقد يضيفها إلى أسبابها، فما الغرض من ذلك؟

{.....}

أي نعم، إشارة إلى توحيده، وإفراده بالعبادة عز وجل، وأن نواصي المخلوقات بيده هداية وإضلالا ومغفرة ورزقا.

وقد يضيفها إلى الأسباب أحيانا، ما الغرض من ذلك؟

{.....}

أي نعم، كيف يسلك الناس هذه الأسباب، هذه أسباب الهداية، هذه أسباب المغفرة، فمن سلكها وحرص عليها واجتهد فيها، فلعل الله سبحانه وتعالى أن يبلغه غايته.

أيضًا مما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى في قاعدة المحكم والمتشابه، أن القرآن كله محكم وكله متشابه، فما وجه كونه محكما؟ ما وجه كون القرآن كله محكم؟ ما معنى محكم؟

{.....}

واضح، متقن، لا اختلاف فيه، ومعنى كونه متشابها؟ يعني يشبه بعضه بعضا في صدق أخباره وعدل أحكامه، وفي نظمه وبلاغته، ثم يذكر تعالى أن بعضه محكم وبعضه متشابه، فما وجه ذلك؟ يعني ما وجه كون بعضه محكما وبعضه متشابه، هذا من حيث ماذا يا إخوان، من حيث المعنى، فالمحكم يكون واضح المعنى بينا جليا، لا مطمع فيه لصاحب هوى، وأما المتشابه فقد يكون فيه نوع خفا في المعنى، الزائغون يأخذون بماذا؟ بالمتشابه، ويتركون المحكمات، لهذا قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ

وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فيردون متشابهه إلى محكمه، فيصبح جميعه محكما، ولو لم يبن معناه فجوابهم عليه التسليم والإذعان إذ هو من عند ربنا سبحانه وبحمده.

في ختم الآيات بالأسماء الحسنى ذكر الشيخ فيها عدة مسائل، المسألة الأولى وهي رأس القاعدة أن ختم الآية بالاسم يدل على ماذا؟ أن هناك علاقة وثيقة بين الاسم وبين مدلول الآية ومضمونها.

ولهذا إذا كانت الآية في سياق الدعاء فإنها تختم بأي الأسماء؟ غالبا ونقول غالبا يا إخوان دائما وهذه ضعوها في أذهانكم القواعد تعتبر أغلبية، قد تأتي آيات تخرج عنه، تختم باسم السميع العليم، وللسميع معان ثلاثة ما هي؟

مجيب الدعوة، مستجيب، أنت تقول في الصلاة سمع الله لمن حمده، ما معنى سمع الله لمن حمده؟ أي استجاب لمن حمده.

وأيضًا بمعنى الفهم، وأيضًا بمعنى السماع المجرد.

وإذا كانت الآيات في سياق الأحكام أو في سياق الوعيد فإنها تختم غالبا بالعليم الحكيم العزيز الحكيم أيضًا.

فإن ختمت بالغفور الرحيم لا سيما آيات الوعيد، فهي من آيات الرجاء كما قال عز وجل: ﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ المُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٣]، هنا الآية في سياق العذاب وفي سياق التوبة أيضًا، ومع ذلك ختمت بالمغفرة والرحمة.

هناك مسألة يا إخوان أيضًا أحيانا تختم الآية بالاسم دون ذكر الحكم اكتفاءً بدلالة الاسم على ذلك الحكم، كما مثل لكم، ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ البَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

هناك مسألة يا إخوان فات التنبيه عليها وهي أن الله تعالى قد يختم الآية باسمين فهل من علاقة بين الاسمين؟ فيه علاقة ولا ما فيه علاقة؟ نعم هناك علاقة، فالغفور الرحيم على سبيل المثال، المغفرة تعني ستر الذنب ومغفرته، يعني الذنب الذي حصل، والرحمة معناه أن الله سبحانه وتعالى ستر عليه فغفر ذنبه ورحمه، وإذ رحمه فهل يعود إلى الذنب مرة ثانية؟ لا خلاص، إذ رحمه عز وجل لا يعود، قبل الله سبحانه وتعالى منه عذره وتوبته فلا يعود إليه مرة ثانية.

العزيز الحكيم يا إخوان، العزة دون حكمة عنف، والحكمة دون عزة ضعف، والكمال جمع الوصفين العزيز الحكيم، لذا تجد أن الله سبحانه وتعالى يجمعها، كذلك العليم الحكيم، عليم بكل شيء، ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وحكيم وضع كل شيء في ماذا يا إخوان؟ وفق ماذا؟ وفق علمه به سبحانه وبحمده، وضعه في موضعه لأنه علم به.

﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُواً قَدِيراً﴾ [النساء: ١٤٩]، هذه فيها إشارتان يا إخوان، الإشارة الأولى: أن الله ختم الآية ﴿إِن تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُواً قَدِيراً﴾ [النساء: ١٤٩] ما ذكر الحكم هنا، لكن فيه حث على العفو وهذا أخذ من ختم الآية بهذا الاسم، وفي الجمع بين العفو والقدرة إشارة أيضًا إلى أن العفو متى يحمد؟ إذا كان عند قدرة، العاجز عاجز ؟؟ أن يعفو، فلا يكون العفو محمودا إلا إذا كان عن مقدرة.

وهكذا يا إخوان تأملوا وأنتم تتدبرون كتاب الله عز وجل، هذا اللون من التفسير العظيم يا إخوان، هي أسماء ربنا المتضمنة لصفاته سبحانه وبحمده، ومن عرف أسمائه وصفاته عرف ربه سبحانه وبحمده بكماله عز وجل، وباتصافه بصفات الجلال والكمال.

{بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللحاضرين

قال رحمه الله:

القاعدة الحادية والعشرون

القرآن يجري في إرشاداته مع الزمان والأحوال في أحكامه الراجعة إلى العرف والعوائد}.

نعم هذه قاعدة العرف يا إخوان، قاعدة العرف، العرف قاعدة من قواعد الفقه الكبرى، القواعد الخمس، العادة محكمة، ولأن لها أدلة في القرآن ذكرها الشيخ رحمه الله وهي من القواعد التي أخذت واستعيضت من قواعد الفقه، فإن الله سبحانه وتعالى إذا حكم بحكم فإما أن يحده، فإذا حده فلا حد فيه لأحد، وإذا لم يحده رجع فيه إلى ما تعارف عليه الناس، فالأول الصلاة والصيام والزكاة والحج وما أشبه ذلك، هي أمور ما يرجع فيها إلى أعراف الناس، تحريم الزنا والسرقة وشرب الخمر وما أشبه ذلك.

وأما أمثل الثاني وهي الأشياء التي حكم فيها الشارع لكن لم يحدها، وأحالها على مألوف الناس وعرفهم وعاداتهم، فلها أمثلة، فصلة الرحم مثلا البر والإحسان وما أشبه ذلك، لم تحد بحد، اختلاف الناس من حيث حاجاتهم، من حيث بيئاتهم، فالبر يا إخوان قيل البر شيء هين وجه طلق وكلام لين، لكنه في بعض الأحيان يكون جهادا، قال صلى الله عليه وسلم: «ارْجِعْ فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»، يختلف البر حسب حاجة الوالدين، قد يكون برهما بالمال، قد يكون برهما بالبشاشة والجلوس معهما كثيرا، وقد يكون برهما بأمور غير هذا، إذا كان يحتاجان، ولهذا قال ربنا: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]، إما يبلغن عندك الكبر، تأملوا يا إخوان كلمة عندك، بحيث يكون الوالدان عندك، ولست أنت الذي عندهما فقط، فإذا استغنيت خرجت وتركتهما، قد يقول قائل ظروف الحياة تغيرت، صحيح تغيرت أمور كبار، لكن لا نريد المغيرات أن تغيرنا يا إخوان، فلدينا دين فيه ثوابت، وأمور كبار، لا ينبغي يا إخوان لمظاهر الوافدة والواردة أن تغير من هذه الأمور لدى الناس.

قال: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ ﴾ فدل على أن حاجتهما إلى البر تشتد متى؟ عند الكبر.

كذلك صلة الرحم، الزمن الماضي يا إخوان تركناه، وتأخر الشخص عن قريبه عمه أو خاله، يومين ثلاثة أيام، يعتبر هذا تقصير، الآن ربما في الأسبوع حتى الأسبوعين وأحيانا في الشهر ولا يعد تقصيرا، تغيرت الأمور واختلفت الأحوال، وتباعد الناس، وشغل الناس أيضًا.

كذلك الإحسان لا حد له، يشمل جميع أنواع الإحسان، قد يكون الإحسان بكلمة، وقد يكون الإحسان بأمور كبيرة.

منها أيضًا العشرة بين الزوجين، قال عز وجل: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] يعني بما هو معروف، هذا يختلف يا إخوان، من بيئة إلى بيئة.

منها الإسراف، قال عز وجل: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]، ما حد الإسراف؟ هل نحده بحد معين، نقول إذا أنفق الإنسان كذا وكذا من المال في كذا وكذا فهو مسرف، ما يمكن لأن هذا يختلف باختلاف الناس، واختلاف البيئات، فإسراف الفقير ليس كإسراف

الغني، وإسراف من هو في بلد مستوى المعيشة مرتفع ليس كمن هو في بلد مستوى المعيشة فيها أقل، يتفاوت ويختلف يا إخوان.

وتحديد كونه إسراف أو ليس بإسراف يرجع فيه ماذا يا إخوان؟ يرجع فيه ل؟؟؟

كذلك اللباس أيضًا، ﴿ يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦]، قال ربنا: لباسا، ولم يقل كذا وكذا وكذا، هذا اللون من اللباس، أو هذا النوع، وكانت ألبستهم في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم الأزر والأردية وأحب الثياب إليه كان صلى الله عليه وسلم ماذا؟ القمص، القميص.

والإنسان يلبس الثوب الذي هو موجود في بيئته، ولا يلبس غيره حتى لا يكون شهرة يشار إليه بالأصابع.

كذلك في العقود وفي أمور في المعاملات أحال الشارع الحكيم فيها ما يدل على عظمة هذا الشرع وسعته، ما ألزم الناس وأجبرهم بأمور حتم عليهم أن يأخذوا بها وأعرافهم وعوائدهم تختلف، ففي العقود في صيغ العقود يرجع فيها إلى عرف الناس، في التجارة في التراضي وما أشبه ذلك.

{أحسن الله إليكم..

قال رحمه الله:

القاعدة الثانية والعشرون:

في مقاصد أمثلة القرآن}

هذه قاعدة كبيرة يا إخوان والشيخ مد النفس فيها، فأقرأوها وتأملوا فيها، نذكر بعض الأمثلة، ذكر الشيخ في المقدمة من الأمثلة ما هو مستوحى من كتاب الله عز وجل وهو ما يتعلق بالقلوب، وتشبيهها بالأراضي، أو بالأودية كما في كتاب الله عز وجل.

فإن القلب مع الوحي كالأرض مع الغيب، كما قال عز وجل: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً ﴾ [الأعراف: ٥٨]، في قول ولعله الأشهر أن المراد بالبلد الطيب ما هو؟ قلب المؤمن، يخرج نباته بإذن ربه يعني ما فيه من الإيمان والخير والصلاح والعلم، والذي خبث قلب الفاجر، قلب المنافق، قلب الكافر، لا يخرج إلا نكدا.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ

﴿قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٦، ١٧]، ما علاقة إحياء الأرض يا إخوان بالآية السابقة، وإنما الآية السابقة في القلوب، في خشوعها وفي قسوتها؟ ما العلاقة؟

فيه تشبيه هنا يا إخوان، شبه القلوب وحاجتها إلى الغيث وحياتها القلوب وحاجتها إلى الوحي وحياتها به شبهها بالأرض المجدبة التي إذا جاءها الغيث أنبتت وأينعت وأزهرت، كذلك القلوب، والشيخ رحمه الله أشار إلى الحديث المشهور المخرج في الصحيح، هذا حديث يعنيكم أيها الإخوان فاحفظوه، احفظوا هذا الحديث، الحديث المشهور: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْهُدَى كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَسَقَى النَّاسُ مِنْهَا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ نَفَعَهُ اللهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ تَعَالَى».

الأرض الأولى قال الأول الأرض الطيبة التي قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب، هذا مثل من تعلم وماذا يا إخوان؟ وعلم، وهذه رسالة لكل طالب علم، ألا يتعلم لنفسه فقط، فإن للعلم زكاة وزكاته تعليمه.

ومثل الثاني أرض أمسكت الماء فانتفع الناس بها، من يستفيد من يتعلم، من يحفظ العلم، ونصيبه من الفقه أقل أيضًا.

وأما المثل الثالث فهو مثل للأرض السبخة، وما السبخة يا إخوان؟ أرض يعلوها الماء وتربتها مالحة ما ينبت فيها شيء، هذا قلب ولا قوة إلا بالله، من لم يرفع بذلك رأس ولم يقبل هدى الله عز وجل فله هو تعلم ولا هو اهتدى واستقام، لا قوة إلا بالله.

من الأمثلة التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى مثل لكلمة التوحيد، حيث مثلها الله سبحانه وتعالى بالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، قيل هي النخلة، في قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، يقول المفسرون هي النخلة، النخلة أصلها ثابت

في الأرض، وفرعها باسق ممتد في السماء، تؤتي أكلها كل حين، ثمرها يؤكل طيلة السنة.

وهكذا كلمة التوحيد، فأصلها ثابت مستقر في قلب المؤمن، وفرعها ممتد باسق على أعضائه وجوارحه، أصلها ثابت بالإيمان واليقين والصدق والتقى، وفرعها ممتد على أعضائه وجوارحه بالأعمال الصالحة والخير والإحسان وطلب الخير في مظانه، وصاعد إلى السماء أيضًا ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، الكلمة الخبيثة كلمة الشرك كلمة النفاق، مثلها كمثل شجرة خبيثة، يقول العلماء هي شجرة الحنظل، نسميها عندها الشري، شجيرة صغيرة ضعيفة وتنبت نباتا لا يؤكل ولا يستفاد منه، بل هو مؤذ جدا، فهذا مثل الكلمة الخبيثة، أصلها ليس ثابتا، اجتثت من فوق الأرض مجرد أن تجثها بيدك ترمي بها، وثمرها لا فائدة فيه، لا تقارن فائدته بالنخلة، قد يستفيد ما من شيء خلق عبث يا إخوان، قد يستفاد منها فوائد لكن لا تساوي شيء بالنسبة للشجرة الطيبة.

كذلك مثل الله سبحانه وتعالى الشرك والمشرك بالعنكبوت، وعشها الضعيف، ضعيفة آوت إلى عش ضعيف فما ازدادت به إلا ضعفا، ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، فمثله بتعلقه بغير الله كمثل هذه العنكبوت التي ركنت إلى هذا البيت الضعيف.

وماذا يجزيه أن يتعلق بكل أحد كائنا من كان، إن خلا قلبه من التعلق بالله عز وجل.

أيضًا من الأمثال المذكورة قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، مثل الداعي الذي يدعو هؤلاء الكفار مثل راعي الغنم، والذي لا تعقل منه غنمه إلا ماذا؟ الصوت فقط، إذا هو نعق لها ودعاها، هي لا تعقل شيئا.

فشبه الداعية بالراعي، وشبه الكفار المدعوين بالغنم وقال في آية أخرى: ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] لأن الغنم تسير فيما يراد منها، وهؤلاء يسيرون عكس ما يراد منهم، ولهذا قال: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾

[البقرة: ١٧١]، مع أنهم يسمعون ويتكلمون ويبصرون، لكن لما سلبت هذه الحواس مما فيها أصبحت كأنها غير موجودة.

مما ذكر الشيخ من الأمثال أيضًا مثل المنافق في سورة البقرة، مثله الله سبحانه وتعالى بمثالين، المثال الأولي يا إخوان: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]، استوقد نارا أخذها من غيره، استعارها من غيره فأضاءت قليلا ثم ذهب الله بنورهم فذهب النور وبقيت الحرقة، ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٧، ١٨]، وتأملوا كلمة ﴿ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾، من ترك الحق وهو يعرفه فالغالب أنه لا يوفق للرجوع إليه، لا يرجعون خلاص، المنافق عرف الحق ولكنه رفضه وتركه، خلاف الجاهل يا إخوان، الجاهل إذا علم فربما يتعلم، لكن هذا الذي عصى الله عز وجل على بصيرة وتمادى في ذنبه وجرمه غالبا أنه ما يرجع.

وتأملوا يا إخوان الحروف والحاجة إلى معرفتها في التفسير، ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٧]، وقال في أول السورة في شأن المؤمنين -اللهم

اجعلنا جميعا منهم- ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾ [البقرة: ٥] فعندما يأتي الكلام عن الكفار يقال ﴿فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، وما أشبه ذلك، وعندما الكلام عن المؤمنين يؤتى بالحرف (على) فما الفرق يا إخوان، حرف على عند أهل اللغة يدل على ماذا؟ الاستعلاء، فالهدى يعليهم ويرفع درجاتهم في الدنيا والآخرة، وأما حرف في فهو لماذا يا إخوان؟ للظرفية، فالظلمة محدقة بهم ومحيطة بهم من كل جهة، بل قال في ظلمات كثيرة ومتنوعة ومتشعبة.

والطغيان أيضًا يحيط بهم من كل ناحية، جمع الله بين المعنيين في قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، ما قال على ضلال مبين، ﴿أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾، فدل يا إخوان أن الهدى عظيم، وعائدته وفائدته على الإنسان ؟؟ عظيم.

مثل الله سبحانه وتعالى أيضًا المنافق بعدها بمثال آخر وهو ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩]، يعني مثله كمثل رجل كان في مكان ثم نزل عليه الصيب، والصيب هو المطر، وهو أيضًا في ظلمة ومع المطر

برق ورعد مقلق مزعج مخيف، فهذا الإنسان في قلق وخوف واضطراب لا شك، وهكذا شأن المنافق دائما في حيرة وقلق واضطراب ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] فهو في وجيف ووجل وخوف، ماذا ينزل في شأنه، ماذا يحدث له، أي فتنة يتعرض لها، أي عذاب يتعرض له، فمثله كما مثله الله عز وجل.

والمقصود بالأمثال ما هو يا إخوان؟ تقريب الأشياء المعنوية بصورة الشيء المحسوس حتى كأن الإنسان يشاهده وهذا من بيان القرآن وفصاحته، وإلا فغالب القرآن يا إخواني بيانه دون أمثال، بيانه مستقل لا يحتاج إلى ضرب مثل، لكن في بعض الأمور يوضح الله سبحانه وتعالى هذه الأمور بضرب المثل لها بأشياء محسوسة حتى تكون أقرب إلى أذهان الناس وقلوبهم.

مثل الدنيا على سبيل المثال بالزهرة، ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، وضرب مثلا ورد في أربع آيات في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ

الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ وتأملوا ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

أخذت الأرض زخرفها وازينت وانبتت من كل لون وازدانت ثم تأتيها بعد ذلك رياح الصيف والشمس المحرقة فيتفتت عشبها ويزول وينتهي، هذا مثل الدنيا واعتبر هذا في كل شيء، في كل أمر من أمورك، اعتبر في نفسك أنت أيها الإنسان، يعرف هذا يا إخوان من كبر سنه، وزهرة الإنسان شبابه، لكن هذه الزهرة ما أسرع ما تذبل أيها الشباب، فاغتنموا شبابكم متعكم الله بالصحة والعافية بطلب العلم وبعبادة ربكم، فما أسرع ما تطوي الليالي والأيام بل الأعوام عمرك أيها الإنسان، فيجد الشاب نفسه كهلا، ويجد الكهل نفسه شيخا كبيرا، ثم يعض أنامل الندم ويقول يا ليت ويا ليت.

وكان الشافعي قد توفي وعمره أربع وخمسين سنة وهو من هو رحمه الله، كالشمس في شهرته، لا تجد مسلم لا يعرف الشافعي، يقول:

إذا هجع النوام أسبلت عبرتي *** وأنشدت بيتا وهو من ألطف الشعر

أليس من الخسران أن ليالي *** تمر بلا علم وتحسب من عمري

الإمام الشافعي يندم على الليالي مرت عليه، فكيف بنا والأعوام يا إخوان تمر دون أن يستفيد الإنسان منها، لكن مصيبتنا أنه ما دام الشيء بين يدك تزهد فيه، حتى إذا انفرط ومضى وانقضى بكيت عليه، هيهات ينفع الندم والبكاء.

{أحسن الله إليكم..

قال رحمه الله:

القاعدة الثالثة والعشرون

إرشادات القرآن على نوعين: أحدهما أن يرشد أمرا ونهيا وخبرا إلى أمر معروف شرعا أو معروف عرفا كما تقدم، والنوع الثاني: أن يرشد إلى استخراج الأشياء النافعة من أصول معروفة، ويعمل الفكر في استفادة المنافع منها.}

يقول الإرشادات في القرآن نوعين: الأول: أن يرشد أمرا وخبرا إلى أمور معروفة شرعا، هذا هو الغالب في إرشادات القرآن، كما ذكرت في القاعدة السابقة يرشد إلى الصلاة والزكاة والصيام أمرا بها، يرشد إلى بعض الأمور خبرا متضمنا الأمر أيضًا.

والنوع الثاني يقول: يرشد إلى استخراج الأمور النافعة من الأصول المعروفة، وهذا الذي يتحدث عنه الشيخ في هذه القاعدة فإن الله سبحانه وتعالى يأمر الناس إلى أن ينظروا في هذا الكون ويعتبروا ويستفيدوا من نظرهم وتأملهم وتفكر فيه فائدتين.

الفائدة الأولى: أنه بنظره وتفكره يزداد إيمانه ويقينه وثباته، قال تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]، قال: ﴿ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] الآيات، وقال: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣].

واليوم يستطيع الإنسان أن ينظر أشياء ربما كانت في خيال الناس في الزمن الماضي، لا تستطيع بالجهاز أن تنظر إلى البحار وكثيرا من عبرها وآياتها، وإلى الغابات وما فيها، وإلى أشياء كثيرة، ويحتاج الناس إلى هذا يا إخوان، ويحتاجون إلى أن يوجهوا إلى النظر والتأمل، فإن النظر فيها مفيد جدا في قوة إيمان الإنسان وثقته بربه سبحانه وبحمده، وهذه من الأسباب والوسائل التي تدفع الأوهام والوساوس والشكوك والشبهات.

الأمر الثاني: هو استخراج الأشياء النافعة المفيدة مما أودعه الله سبحانه وتعالى في هذا الكون الذي أمرنا أن نسرح الطرف فيه وننظر فيه ونتأمل فيه، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿ اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ لِتَجْرِيَ الفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [الجاثية: ١٢]، تستخرجوا منه لحما طريا، ﴿ وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد: ٢٥]، الناس مطالبون بأن يستفيدوا من هذه الكنوز التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الأرض وسخرها لهم وخلقها من أجلهم، يعملوا أفكارهم فيها، ويجتهدون في استخلاص واستخراج منافعها فيها.

{أحسن الله إليكم..

قال رحمه الله: القاعدة الرابعة والعشرون

القرآن يرشد إلى التوسط والاعتدال في الأمور، ويذم التقصير والغلو ومجاوزة الحد}

القرآن يدعو إلى أن يكون المسلم وسطا بين خلقين ذميمين، ما هما؟ الإفراط والتفريط، أو الغلو والتقصير، في بعض النفوس ميل إلى التقصير والتفريط والإهمال واللامبالاة، ولبعضها ميل إلى الزيادة والإفراط والغلو.

وما الذي يحفظك يا عبد الله من هذا وهذا؟ لا تظنوا يا إخوان أن الإنسان إذا كان مستقيما سلم من الشيطان، لا، بل حرص الشيطان عليك أشد من حرصه على من عصى ووقع في الشهوات وفي المعاصي، الشيطان يشم قلب الإنسان فإذا وجد فيه ميلا للخير جاءه من باب الغلو وأخذ يدفعه في هذا الباب حتى يمرق من الدين كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم كما يمرق السهم من الرمية، وإن وجد فيه ميلا إلى الشهوات والمعاصي أتاه من هذا الباب.

فللشيطان أيها الإخوان خطوات يتدرج فيها مع الإنسان، ولهذا حذرنا ربنا من خطواته وبين لنا عداوته الشديدة، ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨]، فهو في خطواته يأتي الإنسان عياذا بالله أولا بالكفر، ﴿ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦]، فإذا عجز أتاه من جهة البدع، لأن البدع أحب إليه من

المعصية، لماذا؟ صاحب المعصية يتوب، صاحب البدعة احتجرت عنه التوبة، فإذا عجز عنه من جهة البدعة، جاءه من جهة الكبائر المعاصي، فإذا عجز عنه من جهة الكبائر جاءه من جهة الصغائر، فإذا عجز عنه من جهة الصغائر يئس منه لا يأتيه من جهة إشغاله بفضول المباحات، فيظل الإنسان يا إخوان يتنقل في المباحات ويفني العمر النفيس الغالي في أمور لا جدوى منها، فإذا عجز عنه من جهة المباحات جاءه بإشغاله بالمفضول عن الفاضل، يشغله بأمور فيها خير وفيها صلاح وفيها كذا، لكن يشغله عن أمور أفضل وأعظم منه، فلينتبه الإنسان يا إخوة من الشيطان، وكيده ومكره، وليعلم الإخوان أن الخطر عليهم من الشيطان أشد منه على غيرهم، قال اليهود لابن عباس: إن الشيطان يأتيكم في صلاتكم ولا يأتينا، فقال رضي الله عنه: وماذا يفعل اللص في البيت الخرب.

اللصوص أين يذهبون يا إخوان في بغيتهم وسرقاتهم، يذهبون للبيوت الخربة، لا، البيوت التي يظنون فيها الأموال الطائلة، كذلك الشيطان، طمعه في هذا ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦] من هو هذا الإنسان؟ مسلم أو غير مسلم؟ مسلم يقول له اكفر، هذا لا شك يأتي عليه

وهو على دينه فيقول له اكفر، هذه بغيته، وآخر ما يريد منه أعاذنا الله من كيده.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى مسائل في القلوب، والتقصير، ولكن الغلو أمر خطير يا إخوان على أهل الخير، فتنبهوا له ونبهوا إليه الشباب وحذروهم منه، فإن النفس قد تجد ميلا إليه، ولهذا يقول ربنا عز وجل: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧] وهم الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فلو أطاعهم النبي صلى الله عليه وسلم في أمور يريدونها لسبب ذلك لهم العنت والمشقة، كيف بنا نحن إذن.

وهذا يدل على أن المسلم لابد يا إخوان أن يرجع إلى العلم وأهله، إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ﴿ يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياً﴾ [مريم: ٤٣].

ابن القيم يقول: الناس ثلاثة، رجل بصير، لديه بصيرة لديه علم، ورجل أعمى قد أمسكه بصير، يعني من يرجع إلى العلم وأهله، يستنير بآرائهم ويستفيد منهم، ورجل أعمى ما أمسكه بصير، يتخبط في الظلمات، فهذا الذي يتيه ويضيع.

ولذا إذا ترك الناس العلم وأهله فإنهم والله على خطر شديد، وكم وردوا يا إخواني موارد ما كان الواحد منهم يظن أنه يقع فيها، وسبب ذلك عصيانهم أهل العلم، وأول ما يقع الناس في هذا الأمر الطعن في أعراض أهل العلم والتشكيك فيهم وفي نواياهم ومقاصدهم، فإذا ابتلي الإنسان بهذا الأمر فإنه على خطر، إذا ترك أهل العلم فيأخذ بقول من؟!

ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو في نصوص كثيرة، «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»، الغلو يكون في العبادة، ولهذا الصحابة رضي الله عنهم لما جاءوا إلى.. تعرفون الحديث، بيت النبي صلى الله عليه وسلم وسألوا عن عبادته، كأنهم تقالوها، فقال أحدهم لا أنام الليل، والآخر قال لا آكل اللحم، قال لا أتزوج النساء، هؤلاء الناس يا إخواني يقول سعد رضي الله عنه رد النبي صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا.

هذا ما تمليه النفوس على أصحابها، إذا لم تلجم هذه النفوس يا إخوان بلجام العلم والإيمان والسنة والقرآن.

أيضًا الغلو يكون في الأنبياء، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، غلا النصارى في ابن مريم فقالوا إنه الله، وابن الله، وثالث ثلاثة، وجفى اليهود فيه فقالوا فيه ما قالوا، ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨].

فالقرآن يا إخوان دائما يدعو إلى الاعتدال وإلى التوسط، والشاب ما دام في سن الشباب في حاجة ماسة إلى هذا المنهج، لأن نفس الشاب يا إخوان تميل إلى التشديد على النفس، ما يزال في أول الطريق، لكن إذا كبرت سنه يتعلم علما ويستفيد من السنين أيضًا دروسا، ويستفيد من أهل العلم وممن يكبره سنا مسائل كثيرة يا إخوان، وإن كنا لا نريد ولا نرغب ولا أحب من الشباب أن يقولوا جربنا وحصل.. لا، ديننا ما فيه تجارب يا إخوان.

ديننا العلم قال الله قال رسوله *** قال الصحابة ليس بالتمويه.

نجرب ونعرف لا، لو عدنا إلى ديننا وإلى شرع ربنا ما احتجنا إلى أن نقول هذا الكلام، فنسأل الله عز وجل أن يحفظ المسلمين شيبا وشبابا، ورجالا ونساء، وأن يحفظهم من الغلو ومن التقصير.

والتقصير أمر خطير يا إخوان، والوقوع في المعاصي ليس أمره سهلا، والعلماء يقولون المعاصي بريد الكفر، يتدرج الإنسان فيها معصية بعد معصية بعد معصية حتى يستمرئ المعاصي وتصبح عياذا بالله ديدنا له وعادة له، وربما يكبر وربما يتمنى أن يتركها ولكن يكون قد قيد؛ لأن للمعاصي قيودا تقيد بها القلوب والنفوس، قال لابن مسعود: ما نستطيع قيام الليل، قال: قيدتكم خطاياكم.

{أحسن الله إليكم..

قال رحمه الله: القاعدة الخامسة والعشرون

حدود الله قد أمر بحفظها، ونهى عن تعديها وقربانها}

هذه مسألة أيضًا في الحدود، حدود الله عز وجل، والحد هو ما حده وشرعه لعباده من أوامر أمر بالوقوف عندها ونواه نهى عن الاقتراب منها، يقول الشيخ: أمر بحفظها يشير إلى قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وحدود نهى عن تعديها، كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وحدود نهى عن الاقتراب منها، كما قال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].

وعلى هذا يتأكد الإنسان أن يعرف حدود الله عز وجل، ولا يكون هذا يا إخوان إلا بالعلم، فإذا علم وعرف الحدود المأمور بها التزمها، والمنهي عنها ابتعد بنفسه عنها، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩٧]، فعلم حدود ما أنزل الله على رسوله أمر متعين، على طالب العلم أن يعلمه، وعلى طالب العلم أن يعلمه الإنسان، والحلال بين والحرام بين ولله الحمد.

والإسلام ولله الحمد سلس سهل ميسر واضح بين لمن رغب فيه وحرص عليه، لكن ما الفرق بين قوله عز وجل: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾، وقال في الآية الثانية: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾، في قوله: لا

تعتدوها معناه أن الإنسان اقتربها بل التزم بها ووقف عندها، وهنا قال: لا تقربوها، ما الفرق يا إخوان؟

أما الحدود التي نهى عن اقترابها فهي النواهي والمعاصي، فلا يجوز للإنسان أن يقترب منها لأنه إذا اقترب منها وقع فيها، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وأما حدود الأوامر التي نهي عن تعديها، فإنه مأمور أن يقترب منها وأن يلتزم بها وأن يحافظ عليها لكن عندها خط، يجب أن يقف عنده، فلا يزيد عليه؛ لأنه إن زاد وتعدى غلا وأفرط، وإن اقترب من الحدود السابقة قصر وفرط، فيكون بين الحدين، ويكون متوسطا بين الأمرين كما ذكر في القاعدة السابقة.

{أحسن الله إليكم..

قال رحمه الله: القاعدة السادسة والعشرون

الأصل أن الآيات التي فيها قيود لا تثبت أحكامها إلا بوجود تلك القيود إلا في آيات يسيرة}

بالنسبة للأحكام التي قيدت بقيود، وذكرت فيها ضوابط وشروط، يقول الأصل أن هذه القيود قيود معتبرة، وهي ما يسميها العلم قيود احترازية،

يثبت الحكم بثبوتها وينتفي بانتفائها، فأن تقول على سبيل المثال: أكرم الطلاب المجتهدين، تكرم المجتهد، طيب غير المجتهد؟ ماذا يفهم من العبارة؟ لا تكرمه، فهذا القيد قيد احترازي نسميه، وهذا يا إخوان في عامة القيود، الكتاب والسنة أن لها محترزات وهي كثيرة يا إخوان، فلتقرأ بعض الآيات تجدها في كثير من الآيات.

وما يريد أن يتحدث عنه الشيخ نوع ثاني من القيود، وهي القيود التي لا مفهوم لها كما يقولون، أو التي يقول عنها الفقهاء هذا القيد غير مراد، فكأن الشيخ يلحظ على هذا التعبير ملحظ رحمه الله.

مثال للقيد الاحترازي الأول: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]، فإذا استطاع طولا هل يتزوج الأمة؟ لا، ثم قال: ﴿ مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ يتزوج أمة مؤمنة، فإن كانت كافرة لا يتزوجها؟ لا، وهذا القيد إذن قيد احترازي، له مفهوم.

لكن القيود التي لا مفهوم لها، هناك آيات متفق عليها، وبعض الآيات مختلف فيها بين أهل العلم، ومن المتفق عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، قوله: ﴿ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾

هذا قيد لبيان الواقع، وليس قيدا احترازيا بحال، ولا يقول بهذا قائل، ولو قيل أنه قيد احترازي عياذا بالله، يكون المعنى: من يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه فإن كان له برهان، لا، لا يمكن أن يكون له ماذا؟ برهان، إذن ما فائدة ذكر هذا القيد؟

التشنيع على أهله، أن عباداتكم تلك ليس لكم فيها ذرة من عقل، أو حجة أو برهان.

ومنه أيضًا قوله عز وجل: ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ [النساء: ٢٣]، هذه فيها مثال للقيدين، الربيبة من يا إخوان؟ بنت الزوجة، هل يجوز للإنسان أن يتزوج بنت زوجته؟ يجمع بينها وبين أمها؟ لا يجوز الجمع بين المرأة.. لا تنكح المرأة على عمتها وخالتها فكيف بأمها.

﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ ﴾ طيب قوله: ﴿ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم ﴾ هل هذا القيد قيد احترازي؟ بمعنى أنه لو كانت عند أبيها وقد طلب أمها، يجوز أن يتزوجها زوج أمها؟ لا يمكن.

إذن لماذا ذكر هنا هذا القيد؟ قيل قيد أغلبي؛ لأن الغالب أن البنت تكون عند أمها، وأيضًا الشيخ يقول ليس من اللائق أن يتزوج هذه البنت والتي هي في حجره والتي هي بمثابة ابنته فكيف يتزوجها، وليس مقصود مجرد الجمع، حتى لو ماتت أمها لا يجوز أن يتزوجها، خلاص انتهى أمرها.

﴿ مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾، قوله: اللاتي دخلتن بهن هذا القيد محترز ولا ما له محترز؟ بنص القرآن، ﴿ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾.

من الأمثلة ساق الشيخ الحقيقة عدة أمثلة منها قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، قد يقول قائل: دلت الآية على أن للرهن ثلاثة شروط، الشرط الأول: أن نكون في سفر كما قالت به الظاهرية، الشرط الثاني: ألا نجد كاتبا، الشرط الثالث: أن الرهن لا يلزم إلا إذا قبض.

هذا إذا قلنا أن القيد له ماذا يا إخوان؟ إن القيد قيد احترازي وله مفهوم، لكن ترد علينا مسائل، مات المصطفى صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهون عند يهودي، اللهم صل عليه وسلم، درعه مرهون عند يهودي يا إخوان،

طعام اشتراه منه، والنبي صلى الله عليه وسلم كان حضر في المدينة، فدل على أن ذكر السفر هنا لا مفهوم له، ولكن الغالب أن الحاجة للرهن في السفر أكثر منها في الحضر، وكذلك يقال في الكاتب، ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ هذا القيد أيضًا لا مفهوم له، حتى لو وجد كاتب فالرهن صحيح، وجائز، ومن حق صاحب الحق أن يطلبه.

وإنما ذكر لأن الحاجة أيضًا تشتد إليه مع عدم وجود الكاتب، فالرهن والكتابة هذه من عقود التوثيق، وأما قوله: ﴿ فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ محل خلاف مشهور في المذهب أنه قيد احترازي، فإن لم يكن مقبوضا فإنه لا يأثم على المذهب، والقول الثاني: أنه يلزم بمجرد العقد، وهذا الذي يحققه المحققون من أهل العلم.

أورد المؤلف يا إخوان منها على سبيل المثال وهي محل خلاف قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩]، الشيخ يميل إلى أن هذا القيد وهو قوله: ﴿إِن نَّفَعَتِ﴾ قيد احتراز، فإن نفعت فذكر وإن لم تنفع فلا تذكر، وقيل: لا، ليس القيد احترازيا، فإن المشروع أن تذكر نفعت الذكرى

أو لم تنفع، والقسمان لا تعدو ثلاثة يا إخوان، إما أن تنفع وإما أن تضر وإما ألا تضر، فإن نفعت فذكر، وإن ضرت فلا تذكر.

وإن لم تنفع ولم تضر يكون الأمر واسع.

{أحسن الله إليكم..

قال رحمه الله:

القاعدة السابعة والعشرون

المحترزات في القرآن تقع في كل المواقع، في أشد الحاجة إليها، وهذه القاعدة جليلة النفع، عظيمة الوقع، وذلك أن كل موضع يسوق الله فيه حكما من الأحكام أو خبرا من الأخبار فيتشوف الذهن فيه إلى شيء آخر، إلا وجدت الله قد قام به ذلك الأمر الذي يعلق في الأذهان}

يقول المحترزات تذكر في بعض الآيات عندما تشتد الحاجة إليها وذلك أن الذهن أحيانا يا إخوان يتوهم شيئا فيأتي هذا المحترز لدفع ذلك التوهم، الشيخ أورد حقيقة عدة أمثلة وهي قاعدة جليلة من يقرأ تفسير الشيخ يجد أن الشيخ يلحظها في كثير من الآيات، خذوا مثلا الآية التي ؟؟ بها ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[القصص: ٥٦]، هذا المحترز ذكره الله عز وجل حتى لا يظن ظان أن الهداية والإضلال أمور تتم هكذا جزافا، لا، فهو يهدي من هو أهل للهداية إذ هو تعالى أعلم بالمهتدين.

ومثل بقوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي ﴾ [النمل: ٩١] هل ربنا عز وجل رب مكة فقط، قد يجنح الذهن إلى هذا الأمر، ماذا قال بعدها؟ ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ حتى لا يظن ظان هذا المعنى البعيد.

وثمة أمثلة ذكرها الشيخ وهي قاعدة جميلة يا إخوان، ويحرص الإنسان على تأملها في الآيات، أيضًا في قوله عز وجل: ﴿ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾ [الحديد: ١٠]، قد يميل الذهن إلى أن المفضول ليس له شيء، فقال الله بعدها: ﴿ وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى ﴾ لدفع هذا التوهم.

من دقيق ما يذكر قوله عز وجل: ﴿ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٦] قد يقول قائل: ثلاثة زائد سبعة يساوي عشرة، فما معنى قوله: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾، قال بعض أهل العلم وهذا المأخذ

لطيف الحقيقة؟ حتى لا يظن الذهن -فهم طالب العلم- أن الواو بمعنى أو، صيام ثلاثة أيام في الحج أو سبعة، فيكون على التخيير، وقد يؤيد هذا الفهم أن صيام الثلاثة في مكة على كل حال من حيث شرف المكان أعظم، وسبعة إذا رجعوا، فقد يرجح هذا التخيير هذا الفهم إن صمت في مكة فصم ثلاثة، وإن صمت في غير مكة فصم سبعة، فقال الله دفعا لهذا التوهم ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾.

وقال: ﴿ لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ٩٥]، أول ما نزلت الآية هكذا، يقول زيد رضي الله عنه: وفخذه على فخذي حتى كادت تندق لما جاءه ابن أم مكتوم رضي الله عنه وقال يا رسول الله لو استطعت الجهاد لجاهدت، فنزلت ﴿ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ ﴾ لدفع ماذا يا إخوان؟ التوهم، وهو تفضيل المجاهد على غير المجاهد حتى ولو غير المجاهد حتى لو كان من أولي الضرر، فنزلت هذه الآية، وهذا كثير في القرآن يا إخوان.

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] عمد عدي إلى عقالين من عقل إبله أحدهما أبيض والآخر

أسود فوضعهما تحت وسادته، وأخذ يأكل ويشرب وينظر في هذا وهذا، حتى ميز ببصره بين الخيطين، يظن الخيط ماذا يا إخوان؟ الخيط هو الحبل، فنزل ﴿ مِنَ الفَجْرِ ﴾ فزال هذا التوهم.

وهذه قاعدة جليلة يا إخوان جميلة تأملوها في كتاب الله عز وجل، تجدون أن الله سبحانه وتعالى يذكر أحيانا أنا أقول قيد يا إخوان لا، يذكر الشيخ المحترز، محترز لدفع أمر قد يتوهمه الذهن فيأتي هذا المحترز لدفع هذا التوهم.

{أحسن الله إليكم..

قال: القاعدة الثامنة والعشرون

في ذكر الأوصاف الجامعة التي وصف الله بها المؤمنون}

هذه القاعدة جميلة وهي سهلة ولله الحمد وسلسة، وصف الله تعالى المؤمنين بأوصاف، اقرءوا مثلا أول سورة المؤمنون: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] ما هي أوصافهم، ثم قال بعد ذلك لأنه ذكر في هذه القاعدة أوصاف المؤمنين وذكر ثمرات الإيمان، وقصده بذلك الإيمان الكامل، الإيمان المطلق، المؤمنون الكمل، أما إذا كان المراد الأمر والنهي هذا

يشمل كامل الإيمان وناقص الإيمان، لكن الشيخ يتحدث عن فوائد الإيمان وأوصاف المؤمنين الكمل.

ذكر هنا أوصاف المؤمنين وهي مشهورة وكثيرة في القرآن في سورة المؤمنون ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] سرد أوصافهم ثم ذكر ثمرة الإيمان بعد ذلك: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١]، اللهم اجعلنا منهم يا حي يا قيوم، ووالدينا ووالديكم والمسلمون أجمعين.

أيضًا آية الأنفال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤] اللهم اجعلنا جميعا منهم يا أرحم الراحمين.

وأيضًا قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا

وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٨- ٦٠] اللهم اجعلنا جميعا منهم يا أرحم الرحيم.

وقوله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ ﴾ [التوبة: ٧١]، في سورة التوبة ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧١، ٧٢] اللهم اجعلنا منهم.

الآيات كثيرة يا إخوان في أوصافهم، أوصاف جليلة ينبغي للمسلم أن ينظر فيها ويحرص عليها، ويدعو ربه كلما مرت به آية يا إخوان وأنتم تقرأون القرآن ادعوا الله، لما قام النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وقام معه حذيفة، وقرأ البقرة والنساء وآل عمران في ركعة، قال: إذا مرت به آية رحمة وقف يسأل، إذا مرت به آية وعيد وقف عندها يتعوذ.

هذه سنة في كتاب الله عز وجل في قراءته، ما تدري يا عبد الله وأنت تقرأ تدعو بدعوة توافق ساعة لا يرد الكريم سؤال سائل، فيستجاب لك فيها دعوة تحصل لك فيها خير الدنيا والآخرة.

ثمرات الإيمان يقول الشيخ مائة ثمرة، كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيه، رحمه الله.

من ثمرات الإيمان: أن الله مع المؤمنين، كما في آية الأنفال ﴿ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]، ومنها كما ذكر في آية التوبة: وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، أكبر نعيم الجنة رضوانه سبحانه وبحمده.

ومنها ما ذكره في سورة يونس: ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] إلى أن قال: ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، بشرى عظيمة مجرد كلمة بشرى يا إخوان يفرح، فكيف إذا كانت البشارة من الله عز وجل، وبشارتهم بسبب إيمانهم بربهم وتقواهم له سبحانه وبحمده.

من فوائد الإيمان في عجالة يا إخوان طمأنينة القلب وراحة النفس، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

من فوائده الثبات في الحياة وعند الممات وعند السؤال والبعث وفي عرصات القيامة، ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

من ثمراته: الحياة الطيبة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

من ثمراته: المحبة، محبة المسلمين لك يا عبد الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُداًّ﴾ [مريم: ٩٦].

من ثمراته: التمكين في الأرض، والنصر والتأييد، ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾ [النور: ٥٥]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

ومن فوائده ما ذكر ما أعد لهم في دار كرامته من نعيم جنانه وفضله ورضوانه سبحانه وبحمده ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٧].

{أحسن الله إليكم..

قال: القاعدة التاسعة والعشرون

في الفوائد التي يجتنيها العبد في معرفته وفهمه لأجناس علوم القرن}

أجناس علوم القرآن، الشيخ يقول الفوائد التي يجتنيها من أجناس علوم القرآن، لا يقصد بعلوم القرآن ما هو معروف في مصطلح العلم، علوم القرآن، ومنها قواعد التفسير، من علوم القرآن أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، لا، هو لا يريد أن يتحدث عن هذا، وإنما يتحدث عن علوم وردت في القرآن حديثا، أبدأ الله تعالى فيها وأعاد، كررها ورددها، منها الأنبياء، أحوالهم وقصصهم، وماذا يستفيده الإنسان من النظر من أحوال هؤلاء الأنبياء.

من صبرهم ومعاناتهم في مجاهدة قومهم ودعوتهم إلى الله عز وجل، وحرصهم على هدايتهم، وشفقتهم عليهم ومحبة الخير لهم، ومن جرأة

أقوامهم عليهم، ومعاداتهم لهم، ومقابلة إحسانهم بالإساءة، إذا نظر الإنسان وتأمل فإنه لا شك يستفيد يا إخوان فوائد جليلة وعظيمة، ولهذا يقول ربنا: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، فالنظر في أحوال الرسل من أعظم أسباب الثبات، تثبيت الفؤاد، في العلم وفي الدعوة إلى الله عز وجل، وفي الإيمان والعمل الصالح.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: ١١١].

الأمر الثاني أيضًا مما هو موجود في علوم القرآن، ذكر الشيخ عندكم مجموعة منها أخبار أهل السعادة والشقاء، عندما تذكر السعداء وما أعد الله لهم، والأشقياء وما أعد لهم، فإن العاقل يا إخواني يتعظ ويعتبر، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾، قال قبلها: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

[هود: ١٠٥ - ١٠٨]، هذا حال أهل السعادة يا إخوان، هذا في الآخرة، وحال أهل الشقاء، حالهم في الدنيا ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧]، هذه السعادة، قد يقول قائل يا أخي أرى أناس من أهل الخير ابتلوا بمصائب وابتلوا بكذا وكذا، ما هذه الحياة الطيبة يا إخوان الإنسان لا يعرض له شيء، لا، لكن المؤمن في حياته بين شكر الله على نعمه، وصبره على ما يعرض له من البلاء فتجده في هذه الحال في حياة طيبة.

وأما الفاجر والكافر لا قوة إلا بالله فهو في أشر مع النعم، وفي جزع مع المصائب والنقم.

أيضًا من العلوم علوم القرآن: التوحيد يا إخوان، وأمره عظيم، النظر فيه والتأمل، ومر بنا كلام ابن القيم: ما من آية في القرآن الكريم إلا وهي متضمنة للتوحيد داعية إليه، لأنها خبر عن الله وخبر عن توحيده، أو خبر عن أهل توحيده، أو خبر عن عياذا بالله ما يضاد ذلك من الشرك وأهله وجزاءهم وعقوبتهم عند الله عز وجل.

إذا تأمل الإنسان وجد أن التوحيد في كل آية من كتاب الله عز وجل، وهذا يدل على عظم شأنه، فإذا اعتنى الله تعالى بشأنه وذكره في كتابه في عامة آياته

فخليق بالمسلم أن يعتني به لخاصة نفسه أولا وقبل كل شيء، ثم لدعوة الناس إليه، مقتفيا أثر المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، وأثر الأنبياء قبله، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ [النحل: ٣٦] هذه غايتهم ووظيفتهم التي جاءوا من أجلها.

ذكر أيضًا الأمر والنهي والتكاليف الشرعية هذه من علوم القرآن، فينظر الإنسان إلى الأوامر فيحرص على امتثالها، وإلى النواهي فيحرص على اجتنابها.

{أحسن الله إليكم..

قال: القاعدة الثلاثون

أركان الإيمان بالأسماء الحسنى ثلاثة: إيماننا بالاسم، وبما دل عليه من المعنى، وبما تعلق به من الآثار}

باب الأسماء الحسنى باب عظيم، حتى قال ربنا: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ للهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، ما معنى «أَحْصَاهَا» ضبط ألفاظها، وفهم ما يفتحه الله عليه من معانيها، وإلا فلن يحصي معانيها.

والثالث وهو عظيم: تعبد الله بماذا؟ بمقتضاها، فيستحضر الاسم ويملأ قلبه من معاني ذلك الاسم، ويتعبد الله تعالى بذلك الاسم.

فالأسماء التي فيها العلم كالعليم والخبير واللطيف تورث في قلب المسلم يا إخواني إجلالا ومراقبة وهيبة لله عز وجل.

الأسماء التي فيها القوة كالقوي والعزيز وما أشبه ذلك، تورث في قلب المسلم أيضًا تعظيما وهيبة لربه سبحانه وبحمده، وهذا معنى الإحصاء، ليس الإحصاء أن يعد الأسماء الحسنى ويحفظها، بل إحصاؤها ما ذكر، ضبط الألفاظ، وفقه ما تيسر من معانيها، وأن يتعبد الله، العلماء يقولون كل اسم له عبودية خاصة به، كل اسم.

فأنت تتعبد الله تعالى بهذا الاسم، الشيخ رحمه الله يقول اسم له ثلاثة أركان، الأول: ما هو؟ معرفة الاسم، نأخذ مثلا السميع.

٢- ما تضمنه من الصفة، لأن القاعدة عند أهل السنة أن كل اسم يتضمن صفة خلاف المعطلة.

الثالث: ما يتعلق به من الأثر، فهو سميع وهذا اسمه، ذو سمع وهذه صفته، يسمع كل شيء ما تخفى عليه خافية من خلقه سبحانه وبحمده.

وهو عليم وهذا اسم، ذو علم وهذه صفة، وهو يعلم سبحانه وبحمده الظواهر والبواطن ويعلم النيات والمقاصد، والسرائر، ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون سبحانه وبحمده.

فللأسماء الحسنى آثار يا إخوان، آثار في الخلق، وآثار في الأمر، وآثار في الشرع، وأيضًا على المسلم أن يتعبد الله سبحانه وتعالى بها، وهذا أمر جليل، وكبير وعظيم كما ذكر آنفا، فتأملوا الأسماء وانظروا فيها فإن الله تعالى يقول: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والدعاء هنا إما دعاء مسألة، فتسأل الله تعالى بها متوسلا بالاسم المناسب لحاجتك، يا غفور اغفر لي، يا رحمن ارحمني.

والثاني دعاء العبادة، وهو أن تتعبد الله بما يقتضيه ذلك الاسم كما ذكر.

وفق الله الجميع للخير، وبارك فيكم، وجزاكم الله خيرا، وكتب لكم الأجر والمثوبة، وأبشروا يا إخوان فمن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، لكنا بحاجة إلى أمرين:

إلى إخلاص العمل لله عز وجل، ومجاهدة النفس على ذلك، ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص يقول بعض السلف.

والثاني: المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نحن بصدده، فأنتم تطلبون العلم فتعلموا وتفقهوا، وتعلموا وعلموا من يحتاج إلى العلم، وفقكم الله وبارك فيكم، وإلى هنا ينتهي ما تم استعراضه من هذه القواعد، اسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، وألا يجعل ما علمنا حجة علينا بل يجعله حجة لنا، ونسأل الله أن يوفق بإكمال باقي الكتاب.. وفقكم الله، في الدورة القادمة يقول الشيخ، إن عشنا.. الله يرحمنا برحمته.

وفقكم الله يا إخوان وبارك فيكم، جزاكم الله خيرا، سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك.

حولت المادة الصوتية إلى نصية كما ألقيت ولم تتم مراجعتها من قبل الشيخ